٩

حـقـوق الإنسـان في الفنون والآداب

أحـــزان حـــمـــورابي

قـصـائـد من أجل حـريـة العـراق

مركز القاهرة
لدراسات حقوق الإنسان

■ هيئة علمية وبحثية وفكرية تستهدف تعزيز حقوق الإنسان في العالم العربي. ويلتزم المركز في ذلك بكافة العهود والإعلانات العالمية لحقوق الإنسان. ويسعى لتحقيق هذا الهدف عن طريق الأنشطة والأعمال البحثية والعلمية والفكرية بما في ذلك البحوث التجريبية والأنشطة العلمية.

■ يتبنى المركز لهذا الغرض برامج علمية وتعليمية، تشمل القيام بالبحوث النظرية والتطبيقية، وعقد المؤتمرات والندوات والمناظرات والحلقات الدراسية. ويقدم خدماته للدارسين في مجال حقوق الإنسان.

■ لا ينخرط المركز في أية أنشطة سياسية ولا ينضم لأية هيئة سياسية عربية أو دولية تؤثر على نزاهة أنشطته، ويتعاون مع الجميع من هذا المنطلق.

المدير التنفيذي — **مجدي النعيم**

المستشار الأكاديمي — **محمد السيد سعيد**

مدير المركز

بهي الدين حسن

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

أحـزان حـمـورابـي

قـصـائـد من أجل حـريـة العـراق

إعـــداد: حـلـمـي سـ ـــــالـم
تقـــديم: د. فـريال جـبـوري غـزول

أحزان حمورابي
قصائد من أجل حرية العراق

إعداد: حلمي سالم
تقديم: د. فريال جبوري غزول

الناشر : مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان
سلسلة: حقوق الإنسان في الحقوق والآداب (٩)
حقوق الطبع محفوظة (٢٠٠٣)
٩شارع رستم جاردن سيتي القاهرة
تليفون : ٧٩٤٦٠٦٥ - ٧٩٥١١١٢ (٢٠٢)
فاكس : ٧٩٢١٩١٣
العنوان البريدي: ص ب: ١١٧ مجلس الشعب-القاهرة
E.mail:cihrs@soficom.com.eg
الموقع على الإنترنت: www.cihrs.org
الصف الالكتروني:مركز القاهرة: **هشام السيد**
غلاف وإخراج: مركز القاهرة : **أيمن حسين**
رقم الإيداع بدار الكتب :

فهرس

- كلمة المحرر: حلمي سالم ٧
- مقدمة: د. فريال جبوري غزول ٩
- أحمد سويلم: وردة إلى عروس الخليج ١٥
- أدونيس: تحية إلى بغداء ١٨
- إلياس لحود: نشيد إلى بغداد ٢١
- أمجد ريان: رسام الحرب ٢٣
- بدر شاكر السياب: أنشودة المطر ٢٥
- حسن توفيق: بطاقة حب لبغداد ٣٠
- حسن طلب: هذه كربلاء وأنا لست الحسين ٣٣
- حسن فتح الباب: معا على ميعاد ٤٦
- حلمي سالم: مدد يا رئيسة الديوان ٤٩
- سعدي يوسف: النخل في البصرة ٥٥
- شعبان يوسف: يموت الذي سيدوس ترابك ٦٠
- عبد الرحمن الأبنودي: مقاطع من قصيدة بغداد ٦٥
- عبد المنعم رمضان: على أنهار بابل ٦٨
- عبد الوهاب البياتي: قراءة في كتاب الطواسين للحلاج ٧٥
- عبد الوهاب المؤدب: على ضفتي دجلة ٧٨
- علي الشلاه: باب الردة ٨٢
- علي جعفر العلاق: إخوة يوسف ٨٥

- علي عبد الأمير: بلادٌ تتوارى ٨٨
- فاروق جويدة: من قال إن النفط أغلى من دمي ٩١
- فاروق شوشة: موال بغدادي ١٠٠
- فاطمة ناعوت: نصف نوتة ١٠٥
- فريد أبو سعدة: غرغرينا ١٠٩
- محمد آدم: ضد الحرب ١١٤
- محمد الحارثي: مقاطعات بعد الحرب بقليل ١١٧
- محمد الفيتوري: صرخة الميلاد ١٢٥
- محمد سليمان: العراقي ١٢٨
- محمد صالح: بغداد ١٣١
- محمد مهدي الجواهري ١٣٢
- محمود الشاذلي: نار الصمت ١٣٧
- محمود حسن إسماعيل: غضبة الثأر ١٤٣
- محمود درويش: ليس سوى العراق ١٤٨
- محمود نسيم: نزهة على الجبهة ١٥٠
- نازك الملائكة: الهاربون ١٥٥
- نزار قباني: موال بغدادي ١٥٧
- هاشم شفيق: مرايا الجوع ١٥٩
- يوسف الصائغ: أما كان يمكن ١٦٠

كلمـــــــة المحـــــــرر

"أحزان حمورابي" هو مختارات من القصائد المصرية والعراقية والعربية عموما، التي تناولت "المسألة العراقية"، أثناء الهجمة الاستعمارية الأمريكية البريطانية على العراق وقبلها، يقدمها مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان لقارئه، في لحظتنا العربية الحرجة الراهنة، بغرض أن يستطيع ذلك القارئ تكوين صورة إضافية -عبر الشعر- عن المأساة العراقية/العربية التي صارت مزمنة بسبب تكرارها المتكرر، مع ما يمكن أن تتضمنه هذه الصورة (المرسومة بالشعر) من سبل لكسر ذلك الطوق المزدوج: الاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي. (أليسا وجهين لعملة واحدة؟).

وواضح أن مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان قد حرص -أثناء إعداد هذه المختارات- على ألا يقتصر الاختيار على القصائد التي تتغنى بحرية الوطن العراقي (ومن ثم العربي) منددة بالغزو والاحتلال والاستعمار الخارجي، بل امتد الاختيار إلى القصائد التي تتغنى بحرية المواطن العراقي (ومن ثم العربي) منددة بالقمع المحلي والاستبداد الداخلي. فحرية "المواطن" جزء لا يتجزأ من حرية "الوطن"، إذ "لا حرية لوطن لا حرية للمواطن فيه". ولعل ذلك هو أحد الدروس العديدة، البليغة والمريرة، التي تقدمها لنا المأساة العراقية الراهنة.

وواضح، كذلك، أن هذه المختارات ليست (على عددها الوافر) كل ما كتب عن حرية العراق، وطنا ومواطنا، بل هى غيض من فيض. فلا ريب أن نصوصا عديدة قد فاتتنا أثناء الإعداد. هذه المختارات، إذن، هى تمثيل لا حصر على الرغم من وفرة ذلك التمثيل وغناه، كما أشارت ناقدتنا فريال جبوري غزول، في مقدمتها البانورامية المؤثرة.

والحق أن عنصرا أساسيا من عناصر غنى هذا الكتاب، لا يعود فحسب إلى القصائد المنشورة فيه، بل يعود كذلك إلى حضور قلم هذه الناقدة العراقية العربية الكبيرة، الذي ضفر هذه النصوص في رؤية نقدية وفكرية كاشفة.

"أحزان حمورابي"، إذن، هى نصوص شعرية عربية يجمعها هم كبير واحد، هو حرية العراق (مواطنا ووطنا: ضد الاستبداد والاستعمار معا)، ولهذا ضمت التيارات الشعرية والاتجاهات الجمالية العديدة، بدءا من العمود التقليدي، مرورا بقصيدة التفعيلة، وانتهاء بقصيدة النثر. وعلى الرغم من أن معيار

الاختيار لم يكن "المستوى الفني الرفيع" وحده (إذ زاحمه بالطبع معيار الهم الكبير الواحد) فإن خيطا من الحد الأدنى للمستوى الفني قد ربط الاختيار والانتقاء.

فصار أمام القارئ شريط طويل متنوع، يجمع القصائد التي ترفرف بجمال الفن ورفعته، (فضلا عن رفعة الهم)، مع القصائد التي حملها شرف القضية قبل شرف الشعر، لتصبح اللوحة العريضة غنية الأساليب والمستويات والكفاءات والأجيال، راسمة بذلك خريطة كافية لتجسيد تنوع الوجدان العربي (المماثل لتنوع الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي العربي) في لحظة مشتعلة مضطربة.

أما حمورابي، المشرِّع العراقي الأقدم، فإنه ينظر الآن إلى اندحار حقوق الإنسان العراقي العربي بين براثن الاستبداد "الوطني" وبين براثن الاستبداد "الاستعماري" فيفريه الألم، وتبيضُّ عيناه من الحزن، فهو كظيم.

مختارات "أحزان حمورابي" صرخة طويلة ممتدة (من مهدي الجواهري إلى فاطمة ناعوت) ضد احتلال الروح بالنظم السياسية القاهرة، وضد احتلال الأرض برسل الحرية الزائفين.

فهل للصرخة من مستمعين في الأجيال العربية القادمة؟

حلمي سالم

العـــراق وطن الشـــعـــر

تقديم: فـريال جـبـوري غـزول

أتـعـلـم أم أنـت لا تـعـلـم
بأن جـراح الضـحـايا فم
(محمد مهدي الجواهري)

يرتبط العراق ارتباطا حميما بالشعر، فالقصيدة تعويذة العراقيين في عذابهم وأشجانهم، وفي مواجهتهم للطغاة والغزاة. وفي العراق يتبوأ الشعر المقام الأرفع بين الأجناس الأدبية، فكل أزمنة العراق -قديمها وحديثها- زمن شعر بامتياز وإصرار. والعراقيون شعراء بالفعل أو بالقوة -كما يقول المناطقة- فهم يقولون الشعر أو هم متذوقون له، مأخوذون بإعجازه، ومعتصمون بحبله. ولا تنبع شعرية العراقيين من خصوصية إبداعية فيهم، بل تنبثق من تاريخ يزدحم بالنكبات والكوارث. فالشعر قرين الألم وملاذ له.

وعندما تتوالى المحن وتشتد المصائب، تنهزم اللغة بقدراتها التوصيفية المحدودة أمام فداحة الخسارة وعمق الجرح، فينطلق الشعر ليعبر بكثافته وزخمه عما تعجز عنه لغة التحليل والنثر ولغة السرد والقص.

العراقي، إذن، شاعر لا بالسليقة،بل لأنه منذور للمآسي والأوجاع، وكما يقول الشاعر: "أنت العراق، وأنت الحزن والألم" (فاروق شوشة).

تنطلق شاعرية العراقي من انفتاح عينيه "على ظلام بلا مشاعل" (عبد الوهاب المؤدب) واستبصاره للمشهد: "المدينة مطوية في الرماد" (محمود نسيم)، أو كما تقول شاعرتنا نازك الملائكة:

وها نحن، حيث بدأنا، نجوب الظلام الفظيع
شتاء يموت، وأسئلة لم يجبها الربيع

ومن هذه الزاوية ندرك المعنى الأعمق لمحمود درويش عندما يقول: "فكن عراقيا لتصبح شاعرا يا صاحبي!". تبدو معايشة الألم وكأنها شرط لا مفر منه للشعر. وعراقنا يطفح بالأسى، فمن تراجيديا جلجامش إلى شهادة الحسين، ومن الغزو التتري إلى الغزو الأمريكي، فقد "جاء التتار قديما من الشرق، والآن هم يقبلون من الغرب" (أحمد سويلم).

من هنا يصبح الشعر مرجعا وملاذا، كما يقول عبد الوهاب البياتي: "أقرب

وجهي من وطن الشعر".

اتسم العراق في التاريخ الإنساني، ومنذ البدء، بالإبداع الثقافي بشقيه العلمي والفني، فهو مهد الحضارات حيث زاول العراقي القديم الزراعة واستقر في المدن وعرف العمران وابتدع الأبجدية المسمارية وسن القوانين -كما في مسلة حمورابي الشهيرة- وصاغ أول ملحمة في تاريخ العالم الأدبي، وهو "ملحمة جلجامش" التي تحكي مأساة الإنسان الوجودية وفشل أحلامه في التحقق وهزيمته أمام القوى الكونية، ليبقى له عزاء وحيد في رحلته من المهد إلى اللحد، ألا وهو الإنجاز الثقافي.

وقد ارتبط العراق في الذاكرة الجماعية -بالإضافة إلى حضارته القديمة سومر وبابل، أكد وآشور- بحضارته العربية الإسلامية، أيام كانت البصرة والكوفة مركزيّ إشعاع فكري وعندما كانت بغداد، بلد الرشيد ومدينة السلام، "عاصمة الأرض" (عبد المنعم رمضان). ويشهد تاريخ العراق الحافل بالتنوع والتعدد لموقعه الجغرافي بتقاطع الحضارات -العربية والهندية والفارسية والبيزنطية والإغريقية- وتفاعلها في حواضره، مما أهلّه لثراء ثقافي وتشابك فكري.

وفي القرن العشرين نهض العراق بعد استقلاله وساهم بثروته الطبيعية والبشرية في أن يكون بلدا مرموقا إقليميا، وعضوا في هيئة الأمم المتحدة منذ تأسيسها بعد الحرب العالمية الثانية، لذا كان احتلال العراق اليوم ورجوع الاستعمار القديم والمباشر تحت راية أنجلو-أمريكية إلى المنطقة صدمة سياسية وهزيمة للمعايير الأخلاقية والقانونية والإنسانية. إن غزو العراق والتحكم الأجنبي في مستقبله وثرواته وكيانه خطوة مفصلية في مسار هيمنة قطب واحد وإملاء إرادته على العالم في استبداد لا مثيل له في التاريخ، وعلى الرغم من مناهضة الرأي العام وهيئة الأمم المتحدة للحرب الاستعمارية، "حرب على الماء والشجر، وعلى/الطيور ووجوه الأطفال" (أدونيس).

وقد سجل الشعراء على اختلاف لغاتهم مواقفهم المعادية لهذه الحرب المدمرة وخرجت الجماهير بالملايين في مظاهرات كاسحة لتمنع وقوعها في العالم كله، بما في ذلك في المعسكر الاستعماري، كما جاء في قصيدة محمد الحارثي:

سيتظاهرون ضد الحرب
في واشنطن، لندن، وسيدني.
لكن من سيصغي إليهم
في الغابة؟

ويقول عبد الرحمن الأبنودي بالعامية المصرية الصعيدية:

كل الشوارع بتصرخ في المدن بجنون
توقف الحرب.. تفضح فكرة المجنون
في أوروبا حتى ف أمريكا .. لأ في كل الكون

لكن الاستعمار قديما وحديثا يبرر ما يفعله تحت شعارات زائفة، فيقول محمد آدم:

وتتابع المهزلة البشرية في أضخم تظاهرة للقتل والفتك
تحت شعار الحرية تارة
والديمقراطية تارة أخرى

فبعد نضال العالم الثالث من أجل تقرير مصيره وبعد إقرار بحقوق الشعوب وبحقوق الإنسان، داس الغزو الأمريكي على إنجاز القرن العشرين في هذا المجال، وتراجع عالمنا، بسقوط هذه القيم التي حاربت الإنسانية من أجلها، إلى "عالم يتشقق كآنية من الفخار" (فريد أبو سعدة).

لقد وقفت الجماهير ضد الحرب كما وقفت من قبل ضد حصار استمر أكثر من عقد من الزمن فرضته الولايات المتحدة على العراق وحرمت العراقيين من الدواء ومن أبسط المستلزمات الطبية، مما أدى إلى موت أكثر من نصف مليون طفل عراقي "أطفال بغداد الحزينة يسألون/عن أي ذنب يقتلون (فاروق جويدة).

فالحصار يحد أبناء الشعب وفئاته الضعيفة والمستضعفة أكثر مما يؤذي الطبقة الحاكمة والمتحكمة. وعلى علم العالم بهذه الجريمة الإنسانية في حق الشعب المظلوم استمر تطويق العراق وتجويعه ومن ثم غزوه ونهب ثرواته، بما في ذلك متاحفه وآثاره لبيعها في الأسواق الدولية تحت أنظار الغزاة وتواطؤهم: "القراصنة هناك عند الأفق، يقصفون الحضارة، ويشعلون الحروف" (أمجد ريان).

أثارت الحرب الأخيرة على العراق بعنفها وقوتها التدميرية ومجيئها "بعاصفة من النيران تجرف ما يصادفها" (محمد سليمان)، باستنكار الشعراء، فالشاعر العربي -سوريا أو مصريا، فلسطينيا أو سودانيا- يشعر بأن العراق ركن من أركان وطنه الكبير وينفعل بما يجري له، فهذا نزار القباني يقول في قصيدة بعنوان "موال بغدادي":

حيث التفت أرى ملامح موطني
وأشم في هذا التراب ترابي

كما يتحدث الشاعر محمد صالح عن ضحايا العراق بضمير "نحن":

تمهل قليلا يا سيدي الجنرال
وأنت تتقدم على جثثنا

وتتوالى الاستعارة عند الشعراء، فالأطفال يرضعون "لبن الموت" (محمود

الشاذلي) في "مدن حلت زنانيرها كالساريات (هاشم شفيق)، ففي "هذا الليل المزهر في بغداد،/باقات باقات تتشظى" (إلياس لحود)، حيث يصبح "أوسع المدى أضيقه" (حسن طلب)، وتصبح "المحنة الحياة لا الموت" (حلمي سالم). وهناك حيث "غربان من الفولاذ تنقضّ" (علي جعفر العلاق) "تنام البلاد على نخلة الموت" (علي الشلاه).

تتجاور أبيات الشعراء وتتحاور عندما تقع الواقعة وتتجه "أقدام المارينز صوب دجلة" (فاطمة ناعوت)، يقول الشاعر البصري سعدي يوسف:

كان النخل في البصرة يهتز
وكانت طائرات تعبر اللوحة كالبرق
وكان الرعد يهوي في دمي مثل الرماد.

وغير مصدق يتساءل شعبان يوسف "أبغداد تلك التي تحترق؟" ويرى علي عبد الأمير "أوحال في شرفات البلاد"، لكن الشاعر محمد الفيتوري يستخف بقوة الأقوياء:

واعلموا أيها الأقوياء
أنكم مثل قطرة غيم
معلقة في سقوط الشتاء

ويرى حسن توفيق أن "بغداد باقية.. وباق جمرها، ويختم حسن فتح الباب قصيدته قائلا: "بغداد يا بغداد معا على ميعاد".

وكل هذا الهول يجعل اللحظة لحظة تأمل في الكينونة، فيتساءل الشاعر يوسف الصائغ: "ترى أما كان يمكن إلا الذي كان؟" وكأن محمود حسن إسماعيل يريد أن يحسم مسألة الكينونة فيقول:

فإما نكون
وإما -بلا شرف- لا نكون

إن ما يجمع هذه القصائد -التي اختارها الشاعر حلمي سالم، وأعدها في ترتيب أبجدي والمكتوبة منذ عام الوثبة العراقية (١٩٤٨)، حتى سقوط بغداد في أيدي المحتلين (٢٠٠٣)- يجمعها على تفاوتها في المقاربة والغرض، وتنوعها في تناول موضوعها وصياغته حضور العراق تضمينا أو تصريحا. ومن المدهش في هذه القصائد عند تتبع طرائق استدعائها للعراق هو تواتر الإشارة الكنائية له عبر شعرائه المحدثين. فالقصائد تتضمن ذكراً للشعراء العراقيين أو تناصاً معهم: بدر شاكر السياب ("عراق، عراق، وليس سوى العراق")، نازك الملائكة، محمد مهدي الجواهري، عبد الوهاب البياتي، بلند الحيدري، سعدي يوسف، سركون بولص، هاشم شفيق، ويضاف إلى هؤلاء شاعر العود العراقي نصير شمة. إنهم وجه العراق المشرّف وممثلو ماهيته الحضارية، ففي الذاكرة الثقافية

يغيب قيصر ويبزغ المبدع.

يُعرف العراق كنائيا ويستحضر عبر أسماء شعرائه، كما يعرف في هذه القصائد عبر طبيعته الجغرافية حيث تتداخل الأرض بالكلمة لتشكل شعرية المكان: دجلة والفرات، ما بين النهرين، أرض الرافدين، هضبات العراق، أرض السودان، شط العرب. ونجد إشارات وإلماعات إلى فجر العراق الحضاري في صورة جلجامش، بابل، نبوخذ نصر، نينوي، عشتار، أور، حمورابي. وهناك استدعاء لمدن العراق وأحيائها:

بغداد، البصرة، الموصل، الكوفة، كربلاء، النجف الأشرف، أم قصر، المربد، الكاظمية، الرصافة، الكرخ. وأما حضور أعلام العراق في الحضارة العربية الإسلامية فهم كثير ومنهم: الإمام علي، الحسين، أبو جعفر المنصور، المتنبي، النفري، أبو نواس، هارون الرشيد، الحلاج، أبو الفرج الأصفهاني، صلاح الدين الأيوبي، المعتصم، بشار بن برد، صفي الدين الحلي، زرياب، الحسن البصري، إبراهيم الموصلي.

العراق في ذهن العامة والخاصة، في مخيال الشعراء والجماهير رمز حضاري أصيل لا يمكن استيعاب التاريخ العربي دون التعرف على إسهامه في بنية الثقافة العربية ومكوناتها. ولهذا العراق وطن نسكنه بقدر ما هو مجاز يسكننا. فلنردد مع السياب بعضا من "أنشودة المطر" كي يجود الغيث مخصبا الأرض ما بين النهرين وما بين السيفين:

أكاد أسمع العراق يذخر الرعود
ويخزن البروق في السهول والجبال
حتى إذا ما فض عنها ختمها الرجال
لم تترك الرياح من ثمود
في الواد من أثر.
أكاد أسمع النخيل يشرب المطر
وأسمع القرى تئن، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع،
عواصف الخليج، والرعود، منشدين:
مطر...
مطر...
مطر...

أحـــزان حـــمـــورابي

قـصـائد من أجل حـريـة العـراق

أحمد سويلم

وردة إلى عـــــروس الخليـج

(عيون المهابين الرصافة والجسرِ
جلبّن الهوى من حيث أدري ولا أدري)
- بين وجه الرصافة والجسْرِ
ضلّت خُطى الشعراء..
وحطّتْ على قبةِ المسجدِ الذهبيةِ
قبرةٌ تتباكى
تنوح على طَلل كان يوماً
يطلّ اخضراراً على زرقةِ البحر..
كانت عروسُ الخليج تراقصُ حيتانه
تتقرّى سفائنَه
ثم تنثُر لُؤلُؤه فوق أيدي الذين يجيئون
ثم ترقُبهم..
من تراه اكتفى باللآلئِ
تنبذهُ..
من تراه يُسدّدُ عينَيه في وجهها الشفقيّ
صار في القلب عاشقها المتوحد.!
- أتذكرُ....
سافرتُ دهراً إليها
وسدّدتُ عينيّ في وجهها الشفقيّ
ولكنها أنكرتني..
ما أحسَّت شرارةَ عينيّ تخترق القلب
حين تحسّست كفيّ

أدركتُ سرّ التمنّع
(لؤلؤةً.. لصقت فوق جلد يدي!)
.....
- أيهذي المدينةُ
صرتِ عجوزاً.. تهدّل ثديُك
غارت بوجهك عيناك
وانصهرتْ فوق جّمر الجراح خطاك
- أيهذي المدينة
جاء التتار قديماً من الشرقِ
والآن هم يقبلون من الغرب
لكنّ قومك ما زلتِ فيهم عروساً
ومازلتِ همزة ماء الخليج
التي تتراقصُ في أحرف الشعراء..
- معي الآن سيفي
وخطّابُك الألف قد خرجوا بالسّيوف
آن أن يخرج الآن كل الذين أحبّوك
أن يخلعوا جبةَ السّمر القرمزية
أن يفيقوا من السّكر يوماً
على صخب الأسئلة
آن أن ينصتُوا لنُواح النخيل
وأن يشهدوا دمعةَ الجوعِ
في مقل الأبرياء..
وأن يقتلُوا الذئبَ من قبل
أن يأكل الشاةَ في الصحراء
آن أن يخرج الآن كل الذين أحبوك
باسم العروبة
والخيل.. والليل
والبيد.. والنفط
والطرقات العتيقة..

باسم الشهيد
وباسم الرشيد
وباسم العهود
وباسم الشهود على ضحكة
في العيون الرقيقة
- أيهذي المدينة
سيفي معي
وخطّابك الألف قد خرجوا بالسيوف
لكنّ كل الذين أحبوك من قبل
لا يحملون السيوف..
أراهم أمام التتار كالذئاب
أنكروا حبّهم..
أعلنوا أنهم لهمُ خادمون
فتحوا في الصباح حظائرهم
دخلتها الذئاب
تفضّ بكارة نسوتهم
وهمُ يضحكون
تذبّح أطفالهم .. وهمُ يحتفُون
كل الذين أحبوك من قبل
لا يحملون السيوف
ولكنهم في ضلال الخيانة
هم يسقطون
إنني الآن أرفضُ
أن أُسقط السيف
من قبضتي..
ليعود إليك اكتمالك
يا وردةً فوق صدرِ العروبة
لا يعتريها الذبول.!

أدونيس

تحـــيـــــة إلى بغـــداد

ضع قهوتك جانباً واشرب شيئاً آخر،
مصغياً إلى ما يقوله الغزاة:
بتوفيق من السماء، ندير حرباً
وقائية، حاملين ماء الحياة، من
ضفاف الهدسون والتايمز،
لكي تتدفق في دجلة والفرات.
حرب على الماء والشجر، وعلى
الطيور ووجوه الأطفال.
من بين أيديهم، تخرج نار في
مسامير دببت رؤوسها، وعلى
أكتافهم تربت الآلة.
الهواء ينتحب محمولاً على قصبة
اسمها الأرض،
والتراب يحمر يسود،
في دبابات وقاذفات قنابل في
صواريخ- حيتان طائرة
في زمن ترتجله الشظايا، في براكين
فضائية تقذف حممها السائلة.
تمايلي، بغداد، على خاصرتك
المثقوبة، ولد الغزاة في حضن ريح
تسير على أربعة أرجل

بلطف من سمائهم الخاصة التي تهيئ
العالم لكي يبتلعه حوت لغتهم
المقدسة
حقاً، كما يقول الغزاة -كأن هذه الأم-
السماء لا تتغذى إلا بأبنائها
هل علينا كلنا أن نصدق أيها الغزاة،
أن ثمة صواريخ نبوية تحمل الغزو،
إن الحضارة لا تولد إلا من نفايات
الذرة؟
رماد قديم جديد تحت أقدامنا:
هل تعرفين إلى أية هاوية وصلت
أيتها الأقدام الضالة؟
موتنا الآن يقيم في عقارب الساعة.
وتهم أحزاننا أن تنشب أظفارها في
أجساد النجوم
يا لهذه البلاد التي ننتمي، إليها:
اسمها الصمت وليس فيها غير الآلام
وها هي مليئة بالقبور -جامدة
ومتحركة.
يا لهذه البلاد التي ننتمي إليها: أرض
تسبح في الحرائق والبشر كمثل
حطب أخضر.
ما أبهاك أيها الحجر السومري،
لا يزال قلبك ينبض بجلجامش
وها هو يستعد لكي يترجل من
جديد، بحثاً عن الحياة، غير أن دليله
هذه المرة، غبار ذري.
أغلقنا النوافذ بعد أن مسحنا

زجاجها بجرائد تؤرخ للغزو، وألقينا
على القبور آخر ورودنا.
إلى أين نمضي؟
الطريق نفسه لم يعد يصدّق خطواتنا.
وطن يوشك أن ينسى اسمه.
ولماذا؟،
علمتني وردة جورية كيف أنام بين
أحضان الشام، أكل القاتل خبز
الأغنية،
لا تسل، يا أيها الشاعر، لن يوقظ هذى
الأرض غير المعصية.

إلياس لحود

نشـــيـــد إلى بغـــداد

"لحمك يا جلجامش يُسبي
يُرمى من أعلى الكلمات
يتفتح باقات باقات"..
في هذا الليل المزهر من بغداد؟؟
طوقني بفرات يديك حبيبي..
(قالت ليلى للمجنون الآخر ريتسوس)
شد على شطي وفكهما من أسري..
أتساقط بيتاً بيتاً في زنديك المذهولين
بهذا الحفل الناري المسعور
أتعمر بيتاً بيتاً يشمخ حين أدق الباب
ويسمع بي صوتي المقتول، المجنون
ويفتح هول الليل ويدخل منك ويغمرني.

في هذا الليل المزهر في بغداد،
باقات باقات تنشظي أممي وشعوبي
وتلملمني بأظافرها المنهوكة مثل فم
عن جثة أوروك
وتمسح عن شفتي فمي وتقبلني
(طعم دم وسع الدنيا في القبلة قال نزار)

شفتاك كأني في الأبواب رأيتهما. قال السياب

في كل الأبواب رأيتهما..
في وجه هنا وهناك بكيتهما وضحكتهما..
شفتاك؟ كأني كنت بنيت على شطيك وسيفهما
نهراً من فرسان أو صحراء دم يتبرعم أو
رملاً يتشيد قامات قامات..
وتتابع في الأغنية المقتولة:
"أتذكركم يا كل الموجوعين بهذا الحفل الوثني المتساقط
من أحداقي
يا أحبائي ورفاقي..

أمجد ريان

رسّـــــــام الحـــــــرب

رسامُ الحرب واقف تحت الأفق، يدهن البيوت بفرشاة النار، ويتحرك بلا رحمةٍ في الدروب الضيقة، والجسور التاريخية، يطير فوق الخيام العربية ويقهر المساحات، رسام الحرب أتي، يبعث بأضوائه الساطعة في الرياح، ودخانه الحمضي في فجوات البيوت، وأن أنزع الجاكت لكي أرتمي على السرير، متمدداً، وبندول من اليأس يضرب قلبي، كان الرجال الفاسدون، يدورون، ينثرون الثبور، حتى تشتت الأمر، وضاقَ المَخْرَجُ، وعَمِيَ المصْدَرُ، فصار الهدى خاملاً، والعمى شاملاً، أريد أن أكتب قصيدة، تهدّ كيان التحالف، قصيدة يرددها الشيوخ والأطفال، وتتهدج بها النساء والصبِّية، إنه حزن الأطفال الأيديولوجي، والأنتليجنسيا واقفة لتتفرج، بينما التفكك الاجتماعي يهدر من حولنا، ورسام الحرب يحطم "أور" و"بابل" و"نينوي"، ويحطم الوجوه السمراء الجديدة التي تصطف في طوابير القمح.

السماء فوقي تهدر بالضغط العسكري، وكوردون العساكر واقف يفتش البرءاء، تحت الحيطان المهدَّمة، ورائحة اللحم البشري المحترق، أطفال الشوارع المجهولون، يحملقون فيَّ مذهولين، والهاتف أمامي صامت، كالحجر، بينما أحدق في بلاط الأرضية الرديء الرطب، تسير فوقه الحشرات المجنحة المخيفة الطنانة.

أعراف الديكة كانت تميس في الرياح، ولكن الظلام آت، بكل جبروته، يطمس ثقب الشروق، ويمسح لقطة الصبايا اللائى يجلسن تحت الحائط الواطئ، يسرّحن شعورهن تسريحة الحناء، ويحيكن عن العروس المخطوفة.

رسام الحرب عند الأفق واقف يتلوى، دخان يتصاعد من فمه، وذيله الذي لا يكف عن الرقص، هو ذيل تنين خرافي، أبو جعفر المنصور يستقبل

سفراء الفرنجة بالفلوذج والثريد: هاهنا بوابة العرب، نعاهد من يعاهدنا، وننزع للحق والتحالف.

كنت على المقهى القديم، أتبادل مع صديقي الكلام، ظللنا نتبادل تحريك الشفاه بلا معنى، والقراصنة هناك عند الأفق، يقصفون الحضارة، ويشعلون الحروف، ونحن هاهنا، نضع "الكلينكس" على أفواهنا، لنخبئ لهب الحناجر، لقد دَرَسَت السبل، وانطمست العيون، وهؤلاء الفجرة يسلكون مسالك الشيطان، ويردون مناهلَه، ولكن الرجال بالمرصاد، كل رجل يكافئ رحابة صدر، كل رجل آنِسٌ بالموت، من الطفل بثدي أمه، والرئيس الأحمق يريد أن يسرق كنز التاريخ بالقوة الباطشة، فهل نحن خانعون إلى هذا الحدّ، نجتر الخلل المزمن في الحياة، ونبتعد رويداً رويداً عن مركز الفعل السياسي؟

كنت أدلف بين مصطبتين على جانبي المدخل، وكان الجالسون يبسملون، ويحوقلون، ويدعونني مراراً للدخول، طيبوا يديّ بالعطر، وأجلسوني مجلس القهوة والهال، كانت الدموع وقتها تهدر من عيني، ولا يكفيها مجرى الجفنين، لقد صار الموت فوق صدور الأطفال ضارباً وثقيلاً لا يبقي ولا يذر، الموت يتلوى في الجغرافيا، تحت القمر الجامد، وأنا أجتر ذكريات الطفولة الأليمة، وأقارن بين الطفولة الضائعة والطفولة التي يجرفونها بالجرافات: هو القدر العربي يقف بالمرصاد، وأنا أضع ذراعي كله على درابزين السلم، وأهبط بثقل السلحفاة: إلى أين ستسير القدمان في هذا الشتات.

الجسم قائم والحزن منفرج، وهناك صوت يعزف الانكسار، سأطوي لجة، وأعود للأغوار، أرتدّ للمنحنى المقطوع، لكي أعود للأغوار، أبحث عن صرخة الألم العميقة، تلك الصرخة التي صارت توازي السديم والعصفور.

رسام الحرب يبعث بأرتال الدبابات الشوهاء في طريقها نحو الأحياء الشعبية، لتفري أجساد النساء النائمات على العتبات المكعبة، والدبلوماسيون العرب قد سلموا الرسائل الودية، وتحدثوا في فضيلة المهادنة، وفك المستأسر.

الحجرة الصامتة ولا صوت سوى صوت تنفسي: هزيمة تطحن القلب، وأقواس من الشوك تلتف حول رأسي، والهواجس تتدهدى: ما أخبار نخيل العراق، ومربده؟ وأحصنته الشقراء؟ ورجاله الحالمين؟

بدر شاكر السيّاب

أنشـــــــــــودة المـطـر

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ،
أو شُرفتان راح ينأى عنهما القمر.
عيناك حين تبسمان تورق الكرومْ
وترقص الأضواء... كالأقمار في نهَرْ
يرجّه المجذاف وهْناً ساعة السَّحر
كأنما تنبض في غوريهما، النُّجومْ...

وتغرقان في ضباب من أسىً شفيفْ
كالبحر سرَّح اليدين فوقه المساء،
دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف،
والموت، والميلاد، والظلام، والضياء؛
فتستفيق ملء روحي، رعشة البكاء
ونشوةٌ وحشيةٌ تعانق السماء
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر!
كأن أقواس السحاب تشرب الغيومْ
وقطرةً فقطرةً تذوب في المطر...
وكركر الأطفالُ في عرائش الكروم،
ودغدغت صمت العصافير على الشجر
أنشودةُ المطر...
مطر...
مطر...

مطر...
تثاءب المساء، والغيومُ ما تزالْ
تسحُّ ما تسحّ من دموعها الثقالْ.
كأنَّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام:
بأنَّ أمّه ـــ التي أفاق منذ عامْ
فلم يجدها، ثمَّ حين لجّ في السؤال
قالوا له: "بعد غدٍ تعودْ.."-
لا بدْ أن تعودْ
وإن تهامس الرفاق أنَّها هناكْ
في جانب التلّ تنام نومة اللّحودْ
تسفّ من ترابها وتشرب المطر؛
كأن صياداً حزيناً يجمع الشِّباك
ويلعن المياه والقَدَر
وينثر الغناء حيث يأفل القمرْ.
مطر...
مطر...
أتعلمين أيَّ حزْنٍ يبعث المطر؟
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضّياع؟
بلا انتهاء ـــ كالدّم المراق، كالجياع،
كالحبّ، كالأطفال، كالموتى- هو المطر!
ومقلتاك بي تطيفان مع المطر
وعبر أمواج الخليج تمسح البروقْ
سواحلَ العراق بالنجوم والمحار،
كأنها تهمّ بالشروق
فيسحب الليل عليها من دمٍ دثارْ
أصيح بالخليج: "يا خليجْ
يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والرّدى!"

فيرجعُ الصّدى
كأنّه النشيجْ:
"يا خليج
يا واهب المحار والردى..."

أكاد أسمع العراق يذْخرُ الرعودْ
ويخزن البروق في السّهول والجبالْ،
حتى إذا ما فضّ عنها ختمها الرّجالْ
لم تترك الرياح من ثمودْ
في الوادِ من أثرْ.
أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر
وأسمع القرى تئنّ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع،
عواصف الخليج، والرعود، منشدين:
"مطر...
مطر...
مطر...
وفي العراق جوعْ
وينثر الغلالَ فيه موَسم الحصادْ
لتشبع الغربان والجراد
وتطحن الشّوان والحجر
رحىً تدور في الحقول... حولها بشرْ
مطر...
مطر...
مطر...
وكم ذرفنا ليلة الرحيل، من دموعْ
ثمَّ اعتللنا ـــخوف أن نلامَ- بالمطر...
مطر...

مطر...
ومنذ أنْ كنَّا صغاراً، كانت السماء
تغيمُ في الشتاء
ويهطل المطر،
وكلَّ عام -حين يعشب الثرى- نجوعْ
ما مرَّ عامٌ والعراق ليس فيه جوعْ.
مطر...
مطر...
مطر...
في كل قطرة من المطر
حمراءُ أو صفراء من أجنَّة الزَّهَرْ.
وكلّ دمعةٍ من الجياع والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد
أو حُلمةٌ تورَّدتْ على فم الوليدْ
في عالم الغد الفتيّ، واهب الحياة!
مطر...
مطر...
مطر...
سيُعشبُ العراق بالمطر..."

أصيح بالخليج: "يا خليج..
يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والردى!"
فيرجع الصدى
كأنَّه النشيج:
"يا خليج
يا واهب المحار والردى.."
وينثر الخليج من هِباته الكثارْ،

على الرمال،: رغوة الأُجاج، والمحار
وما تبقّى من عظام بائسٍ غريق
من المهاجرين ظلّ يشرب الردى
من لجَّة الخليج والقرار،
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرَّحيقْ
من زهرة يربُّها الفرات بالنَّدى
وأسمع الصدى
يرنّ في الخليج
"مطر...
مطر...
مطر...
في كلّ قطرة من المطرْ
حمراء أو صفراء من أجنَّةِ الزَّهَرْ.
وكلّ دمعة من الجياع والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسمٍ جديد
أو حُلمةٌ تورَّدت على فم الوليدْ
في عالم الغد الفتي، واهب الحياة."

ويهطل المطرْ..

حسن توفيق

بطاقـــة حب لبـــغـــداد

بغداد خانتني وأخفت وجهها عني
لم يبق لي أحد سواها.. ما دهاها؟.. كيف تُفلت كفها مني؟
بغداد خلتني مع السفهاء والأجراء مغتربين عن حزني
بغداد خانتني

❖❖❖

بغداد لم تخن العهود
فأنا الذي حين ارتجفت عرفت أني لن أعود
ما بيننا حشد من الغرباء
واللؤماء والزمن المضلل بالوعود
والجو ينذر بالرخاوة والتباهي
بالقيود

❖❖❖

كم قلت لي: الله أكبر
كم قلت لي: إني أفتديك إذا طغى وحش وزمجر
ما أكذب الكلمات إن لم تُشهر
الحب المنور
في وجه ليل قد تسمر

❖❖❖

يبدو الخراب ملوحاً للنهر
بالشمس الجديدة وانتصارات التتار
لم يقبل النهر الحوار
فتدافع المتهافتون المقبلون على
نفائسه لكي يجنوا الثمار
وتداخلت صور الفظائع والمطامع
بعد تغيير الملامح والشعار

❖❖❖

بغداد يا حبي
عيناك ينطق فيهما نهر من الخصب
لكننا عشنا مع الأهوال والحرب
لم ننس وجهتنا وصورتنا فإن
الشمس لم تشرق من الغرب

❖❖❖

عشاقك المتلهفون يطاردون
اليأس حتى يخنقوه ويحرقوه
حتى تظل لهم وجوه
عربية القسمات.. لا أحد يقامر
أو يخادع أو يساوم أو يتوه
وليسقط المتخبطون بمخلب الظلم
الذي كم هادنوه وباركوه

❖❖❖

بغداد تسكنني وأسكنها
وأنساها ببلواها فتحضنني
وتظل تلهو حولها أفعى معربدة
تطوقها.. لترعبني
بغداد باقية.. وباق جمرها
بسمائنا العطشى إلى وطن
يوماً ستصحو حيث تمسح
دمعتي الحرى وتضحك وهي
توقظني

❖❖❖

إيزيس.. أم عشتار.. والفينيق..
أم بغداد
يا صرخة الميلاد
فيضي -برغم شجوننا- بالخصب والأعياد
إنا -برغم ظلال أشجار هوت وتناثرت-
نبقى على ميعاد

حسن طلب

هذه كربلاءُ.. وأنا لستُ الحُسينْ

أَشهدُ أنَّ أولَ النُّورِ نهايةُ الظُّلَمْ

أشهدُ أنِّي قد قُتلتُ غيلةً
وانتكسَ العَلَمُ
أشهدُ أنِّي لم أَخُضْ معركةً
يفوزُ فيها المرءُ تارةً
وينهزِمْ

أشهدُ أنِّي قد شهِدْتُ:
اكتملَتْ شهادَتي
وارتفعَ الآنَ القلمْ
وانطوتِ الصَّحائفُ المَوَّهاتُ..
جَفَّت الدَّواةُ..
لم تَبْقَ سِوى بُقعةِ دَمْ
تجلَّطتْ فوق تُرابِ نِينَوَي
وانعقدَتْ
حتى أضاءَ الأحمرُ القانِي الرَّمادَ..
يا لها من لوحةٍ
قد توّجتِ بالحُمرة السَّوادَ..
سُبحانَ الذي لَوَّنَ..
سبحانَ الذي رسَمْ!

أشهدُ أنْ ليس هذا القلبِ إلا دَمُهُ
وأن أحدثَ الرَّدى أقدمُهُ
أن نهايةَ الجحيم أولُ النِّعَمْ
لذا أُطلُّ الآن من علٍ عليكمْ
فأرى أطلالَكم
أنظرُ أَسْوانَ إلى أشخاصِكمْ
أرقبُ دبَّاباتِهم وطائراتِهمْ
وأبتسمْ

أشهدُ أنيِّ لم أَخُضْ حرباً..
فلو كان عَدُوِّي بانَ لي
رأيَ العِيانِ!
آهِ.. لو جيشٌ حقيقيٌّ-
هنا في الكَرَخِ- لاقانيِ
لأقتحِمْ!
لو رجلٌ!
لو فارسٌ حُرٌّ تحدَّاني
بأن يبرُزَ لي
لو بطلٌ.. لألْتحمْ!
لكنَّها نارٌ..
إلهُ الحربِ قد سلَّطَها
على بيوتِ الأهلِ حتى انهدمَتْ
فاختنقوا..
واختنقتْ أولادُهمْ
واحترقتْ أجسادُهمْ
وتحت وابلٍ من الحِمَمْ
تفحَّمتْ ذخائرُ المشرقِ..
"بيتُ الحكمةِ" انهارَ

هوَى كما هوى البرجُ القديمُ البابليُّ..
احْترقَتْ آخرُ مخطوطاتِ عصرِ المعتصمْ
واشتعلَتْ مُؤلَّفاتُ المنطقِ..
استّفحلتِ النِّيرانُ في رسائلِ الفقْهِ..
فَشتْ.. فَالْتهمتْ مُصنَّفاتِ النّحوِ..
والشعرَ الذي يَلزمُ ما لا يُلتَزمْ!

أشهدُ أنَّي لم أشاهدْ ذلكَ الهوْلَ،
فلم يُمْهلنِيَ الصَّاروخُ كي أضُمَّ طفلتي
وكي ألُمَّ عن وجهِ الثرى أحشاءَها
لم أَرَ بيتي وهو ينهدمْ!
أشهدُ أنّي لم أجدْ وقتاً
لأقرأَ الشَّهادتيْن فيهِ..
لم تُتّحْ لي فرصةٌ.. لأغتنِمْ!
إنْ هي إلاّ لمحةٌ خاطفةٌ كالبرقِ..
لا تكفي لكي تفصلَ ما بين انْبجاسِ النارِ..
والإحساسِ بالحرْقِ،
فلم أشعر سوى أنِّي قد سقطتُ
في بئرٍ من الجَمرِ
فسالتْ في اللهيبِ مُهْجتي
أشهدُ أن وجْهَ زوجتي
هو الطيفُ الذي أظنُّهُ:
آخرَ من ودَّعني في الرَّمقِ الآخرِ..
أو ودَّعتُهُ
في الحيِّزِ الزَّاخرِ:
في برزخٍ ما بين الوجودِ والعدَمْ
لكنني لم أستطعْ-
في هذه الهنيهةِ الأخيرةِ العَجُولِ-

أن أرى الأساريرَ..
لكي أقرأَ في الوجْهِ الجَميلِ:
ما وراءَ غَيْمةِ الذُّهولِ،
أو أستطلعَ التعبيرَ..
والدَّمعَ الغزيرَ حين ينسجِمْ

أشهدُ:
قد كنتُ كأنِّي النائمُ اليقظانُ..
يهوي بي المكانُ
حيث لا أعلمُ ما المصيرُ!
أو كأنني قد كنتُ -فيما يشبهُ الحُلمَ- أطيرُ..
كان رُخٌّ جائع يوشكُ أن ينهشَ روحي..
مثلما تروي الأساطيرُ..
كأني خطفَتْني بغتةً غيبوبةً
فكلَّما حاولتُ أن أُفيقَ..
لا أُفْلحُ،
أو كأنني نمتُ.. ولم أنَمْ!

أشهدُ أنْ ليس على الحالِمِ
إلا ما رَوَى
ليس على العاشقِ إلا ما كتمْ
وأنَّ أغمضَ الهوَى: أوضحُهُ
وأنني أفشيْتُ سِرِّي..
لم يعُدْ لدىَّ ما أفضَحُهُ
أشهدُ أن آخرَ البخلِ الكرَمْ

لذا أُطِلُّ الآنَ من عل عليكمْ..
فأحِسُّ أنني أكادُ لا أعرفكمْ!

أكاد لا أذكرُ ما حاقَ بكمْ
إلا لَمَمْ!

أكادُ لا أذكرُ إلا ظِنَّةً
أن إلهَ الحرب قد أصابَهُ السَّأمْ!
ضاق بما ظلَّ على الأرض..
من الشعرِ.. وموسيقا الشَّذا
ومن عبيرِ البرعُمِ الغضِّ..
ومن عُذريَّة النَغمْ
فهاجَ كالثَّوْرِ..
ارْتدَى بزَّتَهُ..
اسْتشاطَ.. واحتدمْ
وجاءَ يستأسِدُ في وجهِ النساءِ
يحصدُ الأطفالَ..
يغتالُ الرجالَ..
جاء ينتقمْ
وعندهُ من آلةِ الموتِ عَتادُ..
معَهُ زادُ..
وجيشُ من طُهاةٍ..
وعبيدٌ.. وحشَمْ

أشهدُ أن ليس سوى إحدَى اثنتيْنِ:
أن تخافوا بأسَهُ
أو أن تَردُّوهُ إذا هجمْ
فأقسِمُوا ألا تخافُوهُ..
وبَرُّوا بالقسَمْ
لا تَدعوه -إذْ أتى
-يفغَرُ كالغولِ فماً

ويلتهمْ

أشهدُ أنَّ أولَ الجُوع نهايةُ التُّخَمْ
فلتبقُروا بطنَ إلهِ الحربِ..
وْلتبادروا
من قبلِ أن يهضِمَ ما قضَمْ

أشهدُ أنِّي قد قرأتُ في كتابِ الشهداءِ:
أنَّهُ من يخفِ الوحشَ -على حَيْطتِهِ
-يبطِشْ بهِ
وأنه من يَسِمِ الوحشَ على الخرطومِ:
يتَّسِمْ

أشهد:
قد حَّدثني يوماً أبي
فقال: قد حدثَهُ يوماً أبوهُ قائلاً:
هذا ترابُكمْ
فموتُوا سادةً
ولا تعيشوا فوقَهُ خدَمْ
أشهد أنه روَى أمثولةً
مازلتُ أستْتظهِرُها:
كبشانِ كانا في فلاةٍ يتناطحانِ..
والذئبُ الحكَمْ!
أشهدُ أني قد شهدتُ:
كيف يستنجدُ بالذئبِ قطيعٌ من غنَمْ!

أشهد أنني قُتِلتُ غِيلةً
أصبحتُ أحيا

حيثُ لا لذَّةَ بعد اليومِ..
لا ألَمْ
قتلت غيلةً
ولا أدري لماذا؟
هل نَبا السيفُ..
وخانتْني يدِي؟!
أم أنكم تركتموني..
دون أن يحمِيَ ظهري أحدٌ!
فلمْ يكُنْ هناكَ من يَشرَكُ في الموت
.. ويقتسمْ!
أم أنّكمْ -في ساعةِ الشدِّ
-تَوانيْتمْ
فلا سِهامُكم أصمّتْ
ولا (اشْتدَّتْ زِيَمْ)!
أم هل لأنَّ الشعراءَ آثروا الأمانَ؟
هل لأن من في مجلسِ الشعبِ -أو الشورى-
دُمًى؟
أم هل لأن الوزراءَ كلَّهمْ
ومُستشاري الغُرفةِ العليا.. رِمَمْ!
أم هل لأن القائدَ المغوارَ خارَ،
البطلَ النَّشْميَّ لا كرَّ.. ولا عَزمْ
لكنه فرَّ..
كما يفعلُ كلُّ مُستبدٍّ مثلَهُ:
يتَّخذُ الجيشَ لكي يُثبِّتَ العرشَ..
ويبني دولة الحُرَّاسِ
والسّجونِ.. والنِّقَمْ
وحسْبُهُ -يومَ الحسابِ
-أنه صلى وصامَ

ثم أرسلَ الزِّمامَ
عَلَّهُ يُقبِّلُ الركن.. ويستلِمْ!

أشهد أني لم يَعُدْ لدىَّ ما أنطِقُهُ
وأن أوسعَ المدَى أضيقُهُ
وأنني أُطِلُّ من علٍ عليكمْ..
فأراكمْ:
نَومُكمْ شبِهُ مَواتٍ
وقيامُكمْ وخَمْ!
وشعبُكمْ يعبدُ جلاّديهِ..
والخاصَّةُ من خاصتِكمْ
لا يعرفونَ الفرقَ بين اللهِ والصَّنمْ!

أشهدُ أن آخرَ السفوحِ..
أولُ القممْ
لذا علىَّ الآنَ أن أخرجَ من حاضرِكمْ
وأختفِي
علىَّ أن أهْجُرَ مستقبلَكمْ
وأنتفي
علىَّ أن أطفِئَ تلكَ الشعلةَ السوداءَ:
من شمس: (قِفا نبكِ).
إلى البرْقِ الذي:
(أومضَ في الظلماءِ من إِضَمْ)
أشهدُ أني قد شهدتُ:
أوّلُ التوبةِ آخرُ الندمْ

أشهدُ أنْ ليس على الشاهدِ
إلا ما رَأى

ولا على الصَّامتِ إلا ما وَصَمْ
فكيف لي أن أمسَحَ الوصمةَ؟
يا لَلذُّلِّ!
أم كيف لِمثلي-
وهو في الجنَّةِ-
أن يرضَى بغيرِ العدلِ؟
ويْلي!
كيف أستمتعُ بالحورِ..
وبغدادُ دَهاها ما دهمْ!
وتحت أقدامِ المغولِ الجُددِ..
البَصرةُ دِيستْ
وأُهِينَ النجفُ الأشرفُ
واستحلّ كربَلاءَ هؤلاءِ
من جُندِ إلهِ الحربِ..
شرِّ ما أعدَّتْهُ لنا حضارةُ الغربِ..
وما قدْ أنجبتْهُ من نَسَمْ!

أشهدُ أنْ ليس على الصائمِ
إلا ما نوى
وليس للآكلِ إلا ما هضمْ
لذا أصومُ الآن..
عن وليمةِ اللئامِ..
في مأدُبةِ اللحمِ الحرامِ..
حيث فيها اختلطَ الأغرابُ بالأعرابِ..
فاستَذْأبتِ الكلابُ..
ثم اصْطَكَّتِ الأكوابُ بالأنخابِ
في عيدِ النهَّمْ!
أشهدُ أنيِّ قد شهدتُ:

آخرُ السّماعِ أولُ الصَّممْ
لذا أُصِمُّ الآنَ أُذْنيِ
عن شماتةِ العَدُوِّ..
في "قناةِ" البدْوِ..
عن "إذاعةِ الرياضِ"
والقاهرةِ الكبرى
وعن مفاوضاتِ التُّركِ والعجَمْ

أَصُدُّ عن موظَّفي وَكالةِ الغوْثِ..
وعن مُنظماتِ العفو..
عن مندوبِ هيئةِ الأُممْ
أشهد أن آخرَ الهوانِ أولُ الشمَمْ

أشهد أنْ ليس على الشاهدِ
إلا ما رأى
ولا على الحاكمِ إلا ما ظلمْ
لذا أُطلُّ من علِ
أحكمُ بالعدلِ عليكمْ
وأُعدِّدُ التُّهَمْ:
أنتم مُدانونَ..
من الرأسِ إلى القَدمْ
أشهد..
فلتحاولوا أن تشهدوا معي
على تلك الضمائرِ التي بيعتْ لهمْ
بأبخسِ الأسعارِ
بالدينارِ.. والدولارِ
في سوق الذّمَمْ!
أشهدُ أني -من سمائيِ هاهنا

-أشهدُ ما لا تشهدونَ كُلُّكمْ

لستُ نبيًّا.. أُوتيَ الحكمةَ،
أو جوامعَ الكَلِمْ
لكنّني محْضُ شهيدٍ
رُوحُهُ تحومُ في فردَوْسها غاضبةً
وهى تطلُّ الآنَ من علٍ عليكمْ
وتحدَّدُ التُّهمْ:
طاغيةُ العراقِ ليس وحدَهُ
كلٌّ ولاتكمْ طغاةُ..
حولَهمْ طُغَمْ

أشهد أن ليسَ على الشاهد
إلا ما رأى
ولا على الغاضبِ إلا ما كظَمْ
لذا أرى عشرةَ آلافِ شهيدٍ
يبصُقونَ الآن من أعلى
على تمثالِ صَدَّامَ
على لحيةِ مولانا الإمامِ
أو على طلعةِ كافورَ
وخشمِ خادمِ الحرَمْ
(أين تُرى المِقصُّ يا كافورُ.. والجَلَمْ؟!)

أشهد أن هؤلاء كلَّهمْ
قد قتلوني غيلةً:
حَضْرةُ صاحبِ السُّمُوِّ
الملكُ الفذُّ المفدَّى
ووليُّ العهدِ منذ كان في المهْدِ

فخامةُ الرئيسِ
القائدُ الملهَمُ
أو هذا الزعيمُ المحتَرمْ!

أشهد أن هؤلاءِ كلَّهمْ قد قتلوني
ولسوفَ يتركونكم غداً:
لحْماً على وَضَمْ

قد قتلوني كلُّهم
ثم استباحُوا كلهم أرملتي
لم يَخْتشُوا قطُّ..
ولم يحتشِمُوا،
الأنثى التي تبيعُ نفسَها
أمامَ الناس تحتشمْ!
لكنهم عوراتُهمْ مكشوفةٌ
وشحمُهمْ ورَمْ!
أشهد أنْ ليس عليكمْ
غير أن تستأصِلوا الورَمْ

أشهد أن أوَّلَ الصحَّةِ
آخرُ السَّقَمْ
وأنكم -إذا أردْتُمْ
-سوف تُشفَوْنَ من الداءِ الذي:
ينخَرُ في نُخاعِكمْ من القِدمْ
وأنه ليس سوى:
لا .. أو نَعمْ
وأه ليس على أيِّ امرئٍ
غيْرُ الذي زَعمْ

وأنني شهدتُ حتى:
لم يَعُدْ لديَّ ما أشهدُهُ
وأن أكثَرَ الأسَى أَوْحدُهُ
وأنه آنَ لجُرحٍ ناغرٍ
أن يلتئِمْ

أشهد أني قد شهدتُ،
اكتملَتْ شهادتي
ورفْرَفَ الآنَ العلَمْ
وانطوتِ الصَّحائفُ الموشَّاتُ
جفت الدَّواةُ
لم يبقَ سوى نقطةِ دمْ
هي المدادُ الأحمرُ القاني
الذي به تُدوَّنُ الشَّهاداتُ
وتُستَملَى المعاني
ثم تُجلَى
حين تُتلَى كلُّها: بالحرفِ والرَّقمْ

أشهد أني قد شهدتُ:
انكشَفَ الوجْهُ عن القناعِ..
فَلأُطِلَّ من علٍ على أشباحِكمْ
إطلالةَ الوداعِ
ثم أَختتِمْ:

ليس على الشهيدِ إلا ما وَعَى
ولا على الشاعرِ إلا ما نظَمْ

مارس-أبريل ٢٠٠٣

حسن فتح الباب

مـــعـــا على مـــيـــعـــاد....

نهران ينبوعان من حدائق السماء
من كوثر الفردوس والخلود
دجلة والفرات
من ذا الذي فجَّر نهراً ثالثاً
من الدم المراق
دم العراق
دم الرّفاق
والأمهات والعذارى الحالمات
بأجمل الأطفال
وأنبل الرجال

من ذا الذي أعاد (هولاكو) الرجيم
في ثوب نخَّاس العبيد
ووجه قرصان البحار
ليسرق الأحلام من جفون طفلةٍ
تظلها غمامة بيضاء
تحت سماء الرافدين
من ذا الذي يغتال عطر السوسنه
تغريدة العصفور في البكور
والخبز من أفواه فلاحين صابرين
والعرق المنساب من جبين عامل

في مرفأ البصرة
مبتسم في اليسر والعُسرة
واللحن من قيثار عازف شجي
يحنّ وجداً لزمان (الموصلي)
وشاعر يحلم بالقافية العذراء
والورد من شفاه قارئ
في (النجف الأشرف) والسماء
تضئ في مقصورة (الإمام)
...
من ذا الذي أعاد قاطع الطريق
لينزع الأرواح من أجسادِ
عشاق الحياة
يغلل الأعناق بالأصفاد
ويشعل الحريق
في الساطع البهاء من ديارنا
ويطفئ البريق
في أعين البنات والولدان
في جنة النهرين
ما بين عبقري مجدنا التليد
والمنتمي إلى ذكرى (جلجامش) العلىّ
في رحلة البحث عن النشور
وشهوة الخلود
...
هذا التراب العسجدي
يضم أشرف البنين أكرم الجدود
بناة زاهر المغاني والقلاع
تصد عاتيَ الرياح
تبرئنا من الجراح

تعصمنا من الضياع
في هوَّة الشتَات
في الأسر والهوان
في بؤرة الطوفان
بلا شراع
بلا دليل
...
بغداد يا بغداد
معاً على ميعاد

حلمي سالم

مـــدد يا رئيـــســـة الديوان

لابدّ أن شـجـرةً هَوَتْ، وأن عـجـوزاً لـم يستطـع الإفـلاتَ من شظيّـةٍ، وأن بقرةً أُصيبَ ضرعُها فانسكبَ اللبنُ والدمُ على رملٍ محترق، لابد أن عاشقاً لم تسعفه يداه على إبعادِ رصاصةٍ عن حلمةِ المحبوب، وأن مسئولاً قيادياً فرَّ في مركبة سوداء، وأن شجرةً أخرى هَوَتْ. إذن، تعالَي نصمتْ بعض الوقت، تعالَي نمسِّدْ صدورَنا المرتعشة بأيدينا المرتعشة، تعالَي نستمعْ إلى مقطوعةِ "العامريّة" لنصير شَمَّة.

❖❖❖

كنتُ حائراً في الوسيلة: هل أستخدمُ أصابعي، أم الحاسبَ الآليَّ؟ قال صاحبي: المحنةُ الحياةُ لا الموتُ، ثم فحص ثلاثةَ أرباع القرن التي يحملها على زنديه، وابتسم كَمَنْ يشكُ في حكمته، فكففتُ عن عدِّ أمواتي، خشيةَ أن أخطئ في العدد. كانت سقّارةُ مترامية، وأبو الهول يسخر من كلية الإحصاء.

❖❖❖

أنتِ خائفةٌ عليَّ، لأن آلاف الأطنان تنهال على رأس شخصٍ وحيدٍ على بُعد آلاف الأميال. أنا خائفٌ عليكِ، لأن جنوداً يلبسون ستراتٍ سوداءَ، يضربون الشبابَ في ميدانٍ يبعد عنكِ بعشرين ميداناً، هو خائفٌ علينا، لأن قاذفةً ستقتل شاعراً راهنّا عليه في شطِّ العرب. هما خائفانِ على

فكرةِ البيت، لأن النيران الذكيّة ستصهر خاتمَ الخطوبة. هم خائفون على عيون البنات، فبدونها لن يستطعن البكاءَ إذا هاجر المحبُّون. نحن خائفون عليهم، لأن التكنولوجيا تشفطُ الأرغفة. الخائفون مئةٌ، أولّهم زبائنُ البورصة.

❖❖❖

الأحوالُ كلها مرتبكةٌ، حتى نومُ سيدةٍ على كتف رجلٍ يزيد الأحوالَ ارتباكاً، لأنه يحوِّل الأنفاس إلى فأس، وصدرَ الرجلِ إلى شَكمان. غير أن المفاضلةَ بين الدَّراجات والمراجيح، ستغدو عقدةً عصيّةً: ففي هذه موتٌ بسكتة القلب، وفي تلك موتٌ بتهشُّم المخ، وليس من رابط بينهما، إلا خدشة الفخذ. ألم نقل إن الأحوالَ كلها مرتبكةٌ؟

❖❖❖

كان البحرُ مفاجأةً، وخريرُ البدن مفاجأةً، وهسيسُ الحلاّج على خشب الصَّلْب مفاجأةً، ومقاومةُ الحرس الجمهوريِّ لنيران الغزو مفاجأةً، والمطرُ مفاجأةً، لكنّ لسانَ المرأة وهو يبللُ في الليل فنارَ الإسكندر، كان مُعدّاً في اللوحِ المحفوظ.

❖❖❖

فريالُ تبكي لأن أهلَها تحت رحمة الراجمات، تبكي لأنها لم تطفئ الجمرةَ الخبيثةَ، تبكي لأن ابتسامتَها لم تمنع نشأةَ الطغاة، تبكي لأن السّيابَ لم يعش حتى يرى الأحبابَ يقذفون المحارَ والردّى، تبكي لأن الشناشيلَ مردومةٌ في نينوى، حيث أن ماركسَ لم يعلمِّهْا قراءةَ الكفِّ. السيدةُ التي تشبه جلجامشَ في النهار، وتشبه عشتارَ في الليل، ماذا تفعل الآن بالتفكيك، وقد رأتْه يسري في المحافظات الثماني عشرة؟

❖❖❖

بفضل وخزةِ الألم كان المشتكى صعباً والمتوحّدون سكاكينَ على الرّقاب. قبالةَ المحراب صاح مجذوبونَ: مَدَد يا رئيسة الديوان، بينما صُفرةُ الموتِ ترفرف على عمامة المؤذّن، والمجرمون يفرّون بعدَ القتلِ.

❖❖❖

عندما مَسَحْتُ شَعْرَها قصف العدّوُ معملَ التكرير، عندما مشيتُ بالكفّ على بطنها انتشر المشاةُ في البّر، عندما تلامست شفتانا بدأ الغزاةُ تمشيط الجنوب. هل اللقطاءُ خصومُ الهوى؟ غير أنني عندما أرحت رأسي بين ساقيها رأيتُ الحسن البصريَّ والرشيدَ وابن عطاء طائرين على أبسطةٍ خضراءَ مسنودةٍ بسعفاتٍ ضعيفاتٍ، ورأيتُ الخط الكوفيَّ وسركون بولس وهاشم شفيق وأعوانَ نبوخذ يرصُّون جثثاً ويعتقون الجواري ويرسمون على الأباريق وجوه الضحايا، ثم يدلقون الأباريقَ في جذر صفصافة القبور، قبل أن يدخلوا في جبّةٍ كبيرة ويرتفعون.

مسحتُ شعرها فدخل الزيتُ حلقوم العدو، مشيتُ بالكفّ على بطنها فساخَ المشاةُ في البر بتأثير بحّةِ الناي، تلامستْ شفتانا فخرَّ الغزاةُ ساجدين. نَعَمْ، اللقطاءُ خصومُ الهوى، وحبيبي باتعُ السرّ.

❖❖❖

يصنعان معجزاتٍ بسيطةً: يطبخان الثريدَ على شمعة، يهملان مكتبة الإسكندرية، يُصلّحان شيش النوافذ باللمس، يعرفان أن الغريزة مشكاةٌ في زجاجةٍ. يصنعان معجزات بسيطةً، مع أنهما لم يكلِّما الله على الجبل، ولم يشفيا الأعمى والأبرصَ، ولم يتلقيا "مَرَجَ البحرين يلتقيان". جوهرُ الحال أنهما يستخدمان الأسنانَ في صناعةِ العلامات، هازئيْن بالسيمولوجيا، ثم يمشيان في الأرض مرحا، حامليْن مشكاةً، وحينما يقلقهما جواسيسُ

التكنولوجيا، يتلوان "موقف بحر"، عند ذاك تتضافُ للمعجزات البسيطة معجزةُ قهوة الصبح.

❖❖❖

كان البحرُ مفاجأةً، والكفُّ على الكفِّ مفاجأةً، والسَّفرُ على جُنح الليلِ مفاجأةً، أما الموتُ: فكان معاهدةً مسبقةً بين القاتلِ والمقتول.

❖❖❖

أغلقتْ باب الحديقة، ووضعتْ فيفالدي على الحوض، وتذكّرتْ كيف مرّت السنون من غير أن تقول لرجل: يا ساديُّ. كان الجلبابُ فضفاضاً، فأدفأتْ فيه القططَ وأنثى الكلب، وحدّثت نفسَها عن المَسِّ الخفيفِ الذي يشرخُ الحوائطَ، ثم ساختْ قدماها في رمل يشبه أوراك العذارى. هى الآن تصنعُ قهوةً لسيدٍ على البحر يكتُب: أغلقتْ باب الحديقة، ووضعتْ فيفالدي على الحوض، وتذكّرتْ كيف مرّت السنون من غير أن تقولَ لرجلٍ: يا ساديُّ.

❖❖❖

جاء العباسيّون إلى الصَّفِّ: المهديُّ إلى جانب بشّارٍ، وصفيُّ الدين الحلِّيُّ إلى جانب زرياب، سيدُ شهداء الجنة جنبَ معاويةٍ، جاء الأمريكيُّ المتعلِّمُ في السوربون مبادئَ فولتيَر، وجاءت ملكاتُ جمال الكون بخصلاتٍ متطايرةٍ، ومشاةُ البحريَة يندهشونَ، أتى تجارُ العجوةِ، بيّاعو خمر الموصل، نجارو ساقيةِ الحقل، وأحصنةٌ من طروادة، نسى المهديُّ هجاءَ الشاعَر، نسى الشاعرُ سيفَ خليفتِه والنطعَ، فجاء الديكارتيّون، ورضوانُ الكاشفُ، والتكفيريون، وصاحبُ إيقاعات النمل، وطلابُ أبي قيرَ، البعثيون، وجمعيةُ "جدّاتٌ ضد الحرب"، وحمدين صبّاحي، وشيوعيو ٥٩، وخريجو النجف

الأشرف، ومشاةُ البحرية يندهشون، أتى التكعيبيون، ورقّاصو التنّورة، وحمورابي، جاءت فتياتُ النثر: سهير وفاطمة وميسون وزهرةُ غادةُ وحبيبةُ ومرامُ ولينا وجمانةُ فوزيةُ وعنايةُ آمالُ وظبية، يتقدّم خطوتَهن كهولٌ أولهم إبراهيم شكري، ومشاةُ البحرية يندهشون، سيسطع في الصفِّ المقهورون وسيِّدهم ذو النون، ويسطع في الصف القهّارون وسيدُهم جعفرُ والمعتصمُ، يرفرف بنْ عربي والبيّاتي ورعاةُ العزلةِ، ومشاةُ البحرية يكتشفونَ: هنا الصدمةُ والرعبُ، هنا الهدم يوحِّد بين الطاعن والمطعونِ دفاعاً عن كوّماتِ ترابٍ، نحن المرتزقةُ لا نفهم كيف يموت الفرقاء لأجل ترابٍ يعلو فوق تراب.

❖❖❖

يبيعون في المقهى التواريخَ والشايَ الأخضرَ والحوادثَ، تقترب الأنفاسُ البشريةُ من الأنفاس البشريةِ، تحكي امرأة عن المغني القديم الذي صار عنكبوتا، بينما نهداها يرتعشان تارةً خلف دخان النارجيلة وتارةً تحت القميص الأبيض. حكى رجلٌ عن جلطة الأم وعن رقّةِ المخابرات فالتصق فخذها الأيسرُ بفخذها الأيمن وجحظت عيناها من الرعب، سألته: هل أنت المشاكسُ؟ أجاب: إنني العابر الذي يحتاج أن ينامَ بمحاذاة حوضك العريض، إنني المضطربُ الذي يودّ أن يهدأ على عمودك الفقريِّ ثلاثة صباحات بأمسياتها، إنني المجرمُ الذي ينشد النظافة تحت لسانك المغسول بالسبرتو. يبيعون اقتراب الروح للروح في كُستُباناتٍ صغيرة. يبيعون البائعينَ والمشترينَ. يهبط المُقطمُ إلى الحارات والمشربيّات والقلوب. يهبط المقطم ممسكا بخناق سعيد مهران وعيسى الدّباغ وسيد الرحيمي. يهبط المقطمُ فتندلع أغنية "يا ليتني كنتُ الطبيب المداويا" بين شخصين جاوزا سن الغرام حينما تبادلا الراقصات النحاسيّات. هل أنت المشاكس؟ أنا من ضيّعَ في الأوهامِ عمره، بينما هم يبيعون اقترابَ الروح للروحِ في كُستُباناتٍ صغيرة.

❖❖❖

يقـولون ليلى بالعـراق مـريضـةٌ، بينمـا الكربـلائيـونَ يلطمـون الصـدورَ بالجنـازير والمجنزرات، ثم يعـومـون في دمـاءِ أهل البـيت، عُـدْ يا عليّ، لكي تعلِّمَ الحداثيين درسَ الأرض الخراب، وكي يعرف الطاغوتُ إن خان معنى أن يكون فكيف يمكن أن يكون؟ عُدْ. لعل يبصرُ المتنوّرون أن المهزومين مئةٌ، أولهم أُمَّةٌ بطبقاتها.

❖❖❖

كان النَّهدُ مصـادفةً، وحنينُ المرأة لرسوم الإصبع في الرمل مصـادفةً، ورداءةُ أدوات الطهي مـصـادفـةً، والعَـتَبُ على الأكـراد وهم يرثونَ الأرض مـصـادفـةً، لكن نشـيـدَ العـزلةِ كـان القـدرَ المقدورَ، وفـرحَ المقـرورِيْن بمجـدِ الصُّدفةِ، كان ضرورةَ جسدَيْن.

مارس-أبريل ٢٠٠٣

سعدي يوسف

النخل في البـــــصـــــرة

تلك البلاد
في الطين بضعة
أكواخ
ومئذنة ليست ترى في ضفير
السعف
والقصب...
إني عرفت طريقي نحوها، خطأ
بين الخرائط
والأسفار
والكتب؛
كم كنت حتى مع التذكار أنكرها
لطول ما أنكرتني..
.....
.....
.....
والآن، ماذا سأصنع بها؟ أين
أسكنها في الليل البلقع؟
ألن تغضب عليّ إن سألتها: من أنت ؟
ألن تشعر بالحرج إن عريتها؟
سأقول لها: كنت طليق اليدين
قبل أن تتحدري عليّ، لكني هذه الليلة

مطوقك. أنا أحبك. لا تقتليني
بعد أن انتظرتك طويلاً في فراري.
يا بلادا لا تسمي
يا بلاداً موجة
حقاً من الزئبق
طاعوناً
وصبحاً ياسميناً...
أمهليني أتقرى أي اسم
سأسمي مرة تلك البلاد..
الرعد
في سماء مثل هذا، أشتهي أن أسمع الرعد..
السماوات التي تهبط
والبرد
وهذا السرخس الرطب؛
لقد مر على منفسح الأفق،
سريعاً، آخر الطير
وفي الساحة تشتد الخطوط
البيض (أعني بين سياراتنا في
لمعة الفسفور
والهدأة!
أحياناً، كما في الحلم، يأتيني هدير...
(أهو من الطائرة)
ثمت شئ لا يرى، لكنه يسمع،
مثل الخطفة الأولى من المدية
لصق القلب؛
مثل الرعد في اللوحة...
.....
.....

.....

كان النخل في البصرة يهتز

وكانت طائرات تعبر اللوحة كالبرق

وكان الرعد يهوي في دمي مثل الرماد..

الإحساس الأول

بين الشجر المتحفز، والمطر

المختبئ، الريح تدور

الريح تدور تدور تدور

الريح تدور تدور

الريح تدور

الريح..

الأغصان معراة، تنبت أسلاكاً

وهسيساً، وتسف على السقف؛

اصطفت أجنحة، بضع دقائق

ثم هربت غرباً؛

من أين تسلل ضوع الأرض إلى؛

هنا، في الغرفة؟

دوح وشميم تراب؛

ونديف من زغب أبيض...

في الساحة

حول المصطبة، الريح تدور

الريح تدور تدور تدور

الريح تدور تدور

الريح تدور

الريح..

بيزنطة

كان الحكماء يعودون إلى

ساحتهم قرب المرفأ

(أعني باحة حان سفريادس)..
الوقت ضحى
والحكماء يعودون إلى الساحة
كل ضحى؛
(الموت أو سفر)
لكن الجلسة تعقد
فالحكماء لديهم طبعاً ما
يشغلهم،
وأهالي بيزنطة مرتاحون لأن
لديهم حكماء الساحة منذ سنين
وسنين
.....
.....
.....
والحكماء يديرون الظهر عن
المرفأ متكئين؛
مصاطبهم من خير رخام أبيض
أثوابهم من كتاب أبيض
أما خمر سفريادس...
والناس هنا (أعني في بيزنطة)
ينتظرون نهاية ما يتفكر فيه
الحكماء
الناس هنا ينتظرون
وينتظرون...
هل الفرخة من تلك البيضة
أم أن البيضة من تلك الفرخة؟
كان الناس، سنين،
ينتظرون...

.....

.....

.....

في المرفأ

في الغبش المدثر شبه ضباب

كان السلطان محمد الفاتح،

يزجي، في البوغاز، سفائنه،

كانت بيزنطة نائمة

أما الحكماء فلم يصلوا الساحة

بعد.

شعبان يوسف

يموت الذي سيدوس ترابك

أغادر نفسي
وجسمي
وأيقونتي
أغادر حقلي
وفأسي
وبعض شجيرات عمري
وساقيتي
وفراشي
وأنزل أرضي
وألعن كل جبابرة الكون
كل صباح
أغادر تلك المدينة
نحو الفضاء الوسيع
ونحو السماء البعيدة
أخطو إلى التيه
مندهشا!
وخجولاً!!
ألملم كل هزائم أهلي
وحزن بلادي
وأفتح كراسة القهر
أقرأ كل تفاصيل مذبحة تتكرر

أسأل كل هراطقة الشرِّ
أوقفهم كل يوم أمام غرائزهم:
أي غلٍّ
وأي كراهية
سوف تغلق كل شبابيكنا
وتعربد فوق أسرِّتنا
وتمزقنا
ثم تنهش أشلاءنا
ثم تفتك بالباقيات الثكالى
ونحن نولول في كل طلعة شمس
ونهذي
نُقبّلُ أقدام حكامنا البائسين
وندعو لهم بإطالة أعمارهم
فوق أجسادنا.
أغادر نفسي
ومسقط رأسي
لأشهد تلك المجازر
أقتل حدسي!!
وأرفع كفيَّ لله
أدعو .. عراق
أصرخ في كل ريح تهب:
كل التراب عراقُ
وأهتف في كل جرح يكبُّ:
كل الدماء .. عراقٌ
وأنظر في كل عين تسبُّ
كل العيون .. عراقٌ
كل الشوارع تمشي إلينا .. عراقٌ
كل الحضارات تنطقُ مدهوشةً

يا عراقُ...
كل الأزقة تحشد أصواتها
وتهلل في أوجه الخلق:
هذا العراق!!

أبغداد تلك التي تحترق؟
أشعب العراق الذي يتقلب
تحت مقاصل صمت العروبة؟
أين العروبة؟!
أين سمعت بتلك العقوبة؟
أين شوارعها الهادرة؟!
وأين حناجرها الغائرة؟!
وأين العمائم
تعلو!!
وتعلو!!
لتصبح قُبَّة خزيٍ وعارٍ
وتسبح فوق عروشِ القبائل؟
أين (وشاويشهم)
تتلألأ
تحت حذاء أمريكا؟
أين المحيط!
وأين الخليج!
وأين المسافة بينهما يا رفاق؟
وأين
إذن
يا أحبة
سوف يروح العراق؟!

أبغداد..
تلك العروس
التي تتآمر كل البلاد عليها؟
أيقصفها المجرمون
البرابرة المتخمون بلحم البشر؟
أبغداد..
تصعد شامخة في سماء فضائحهم؟
تتزين بالنار والطائرات المغيرة
تلبس كل ملابسها في الصباح
وتخرج مفسدةً لتآمرهم
تتراقص بين حرائقهم
وترد على حقدهم
ببطولاتها!!
أبغداد شمس؟
ودفءُ؟
وكل النهارات فيها ستسطع؟
فاتنة
ومضيئةْ

أبغداد
تلك التي تتخايل فتنتها
بين قبحهم المتزايد؟
تمشي
وتسأل كل صديقاتها وأخوتها:
أينهم؟!
وأين صقور الحروب الغلاظ؟!

أغادر نفسي

وأرفع كفيَّ لله
أدعو:
يموت الذي سيدوس ترابك
يموت الذي سوف يطرق -معتدياً- فوق بابك
يموت الغزاة-الطغاة
وكل فلاسفة الشرِّ
تحت حرابك
يموت الذي تتجمد كل مشاعره
ويخر صريعاً
ويفني ذليلاً أمام خرابك
يخر صريعاً
ويفنى
ويؤوى
أمام
خرابك.

عبد الرحمن الأبنودي

مقاطع من قصيدة بغداد

آدي العراق القريب م القلب راح منا
بعيد بعيد.. ابتعاد النار عن الجنة.
خلاص نسينا النضال.. اليوم نقول بغداد
وبكرة حنقول كذا.. وبعده ياما بلاد
واحنا كمان المربوطين في أوتّد الأوتاد
الشهدا بيموتوا يومياً قصاد العين..
من تحت عينِك عيون شايفانا يا فلسطين
أميرة إنتي ما بتلومينا ش.. تلومي مين؟
ماظنش اللي شبهّنا تجوز لهم رحمة
إذا بدم البلاد.. بيلونوا الأعياد!!
.....
خلاص نسينا النضال.. اليوم نقول بغداد
وبكرة حنقول كذا.. وبعده ياما بلاد!!
يا أمة قومي بقى.. ده انتي فضحتينا..
الأمريكان سكنوا مش وسّطينا.. لأ فينا
والاَّ اليهود اللي سرَقوا حتى أغانينا
حرتوا الأرض وقتلوا هناك أعز الولّد
الشهدا أكوام على أكتافي.. إوعى تعِد
أبدان جميلة.. بتاكلها النسور والحِدّ
إحنا انتهينا.. تعالوا ياللي بعدينا!!
.....

يا أُمة قومي بقى لاحسن فضحتينا..
الأمريكان سِكّنوا مش وسطينا.. لأ فينا!!
ياللي في عُسْري وضيق اليد نسيتونا
أهي الفلوس نفسها.. حاتروح لأعادينا
بترول أراضي العدو ده اللي في أراضينا.!!
شفتوش كده؟ والبلاد ممنوع نحميها
نحميها من مين؟ دي مش أراضينا.. أراضيها
هوه بْسلاحه المميت.. جاي ينزرع فيها
وانتو.. بدُخَان صمتكم يا أهلي عميتونا.
.....
ياللي فْ حاجتنا وضيق اليد نسيتونا
أهو جه ياكلّكوا اللي على حربُه انتو لُتونا!!
يا أمة ترمي ضميرها للكلاب.. ببلاش
يا أمة قِبْلت مصيرها (خِدْمة الأوباش)
كلَّه كلام.. لا انتماء.. ولا وطن.. ولا دين
قاعدين سنين تحلموا بظهور (صلاح الدين)
ما كان مابينكم قتلتوه انتو يا فالحين.
كل اللي صدُّوا العدو.. راحوا ومش راجعين
ولاَ "صلاح دين" يا ناس ولا حتى زفت الطين
الحي ميّت يا ناس أما اللي ميت عاش.
.....
يا أمة ترمي ضميرها للكلاب ببلاش
يا أمة قبلت بفرحة .. خدمة الأوباش.
ما عادْش إلا انتظار الموت.. يا إما نقوم
نُسجد في ساحْة النضال وعن البلاهة نصوم
لو الدِّما تبقى بحر.. فْ دمِّنا.. حنعوم
إزاي يعيش الوطن.. من غير رجال تحميه؟
تموت وتحيا معاه.. تموت وتحيا ليه..؟

كإن ابن العرب مولود يا ناس.. مهزوم.

.....

ماعادش إلا انتظار الموت يا إما نقوم

نحمي الوطن بالصدور.. ونفجَّر المكتوم.

.....

كل الشوارع بتصرخ في المدن بجنون

توقَّف الحرب.. تفضح فكرة المجنون

في أوروبا حتى ف أميركا.. لأ في كل الكون

إلا احنا إرِتحنا قدام أي تليفزيون

آدي العراق في طريقها للغرق يابا

وإحنا حواليه خُطبنا فجَّة.. كدابة

نتخانقوا من غير سبب.. لأ فيه سبب طبعاً

وحنغرقوا في الزمن.. يا أمتي.. جمعاً

متملعنين.. إنما.. عدونا.. ألعن

قدَّامُه حِمِّلان.. لكين.. على بعضنا ديابة!!

الكل عايز ساعات المؤتمر تِمِّضي..

علشان ما يجري على دار العدو (يمضي)

كإنّ بعضي ينازعني.. على بعضي..

معظمنا هوَّه العدو.. يعني العراق يا هُوه

مش أمريكان وإنجليز.. إحنا اللي حنهدوه

واحنا اللي بترولُه رايحين للعدو نهِّدوه

وبعده بترول جديد.. وبعده بترول جديد

وانا منتظر مقتلي وإيدي على خدي!!

عبد المنعم رمضان

على أنها بابل

في المكانِ الذي يصلحُ
أن تتسابق فيه الطبيعةُ
كان الضحى عالياً
يتسلّقُ كل رؤوس النخيلِ
وكانت عظامُ الذين قضوا
تستريحُ
وتبيضُّ تحت الترابِ
أحاول أن أوصد البابَ
أوصدُهُ
وأراقبُ
أشهد طلّي على شرفة من زجاجٍ سميكٍ
وهبّةَ ريح ترنّحُ أطرافَهُ
ومعارجَ غائمةً
إنها آلة الموتِ تعملُ
تكتبُ أول أسماء عشاقها:
الطائراتُ
المنافي الوحيدةُ
بارجةٌ في المحيطِ
وعينانِ مغمضتانِ
ونملٌ ونخلٌ وتاجانِ سيفانِ
والعرباتُ التي وحدها

والدموعُ...
ومازال سعدي يطلُّ على ساحة البرجِ
في أول الليلِ
كانت مصابيح دجلة
تتركُ أنوارها تتضاءلُ
والعائدون من الحربِ
يقتسمون الحنين إلى وطنٍ
قبل أن يتهدّمَ
كان يخرُّ
ويحفرُ ما يسعُ الجسمَ والروحَ
ثم يواربُ جثّته
يختفي خلفها
ويضيعُ..
وكان الأئمةُ والشعراءُ وأتباعهُم
ثم كان الحرائرُ والمومساتُ
وألويةُ الجندِ
والسيّداتُ الأراملُ
والفتياتُ العذارى
وحشدُ من الريح
حشدُ من الأغنياتِ التي سوف تحملها من بلادٍ إلى غيرِها
سفنٌ وقلوعُ...
وكانت عيونُ الرصافةِ والكرخِ
كانت عيونُ الخيامِ التي انتشَرتْ
قربَ خطّ الحدودِ
وقرب النهايةِ
ساهمةً
تتأمّلُ كيف العواصفُ
كيف إذا بدأت عند أولِ منعطفٍ

يخرجُ الدركيُّ من الظلِّ
يصعدُ سلّمَهُ
يتفحّصُ كل السّياجِ
ويمسح عنها الهواءَ وبعض الندى ويفكّرُ
كيف سيصبح شكلُ السماءِ
إذا جاءت الطائراتُ
وهامت على وجهها الريحُ وانتشرتْ
ثم هام القطيعُ...
وفي لحظةٍ
زوجةُ الدركيّ تفاجئُهُ وتفكّرُ
أطفالها تحت شمسِ الجزيرةِ
ماذا ستفعلُ
كلُّ المحطاتِ مائلةٌ في اتجاهِ الخليجِ
وماذا ستفعلُ؟
سوف تغادر غرفتَها
تتلكأَ
تحملُ آنيةً
ثم تحملُ أطفالها
وتفرُّ إلى كربلاءَ
وتجلسُ قرب الحسينِ:
"ويا سيدي
يا أبي"
تتلصّصُ ماذا يقولُ:
"الفرنجةُ
جيشُ يزيدَ
الفرنجةُ"
تمسحُ دمعته
وتنظّفُ جبهته من حشودِ الذبابِ

ومن صدأ النفطِ
تحميه
لكنه يتآكلُ
يخشى من الموتِ أن يستعين عليه
بكهّانهِ
أنْ يلاقيه تَحت أولِ نافذةٍ
ثم يصحبه في الأقاليمِ
يأمُرهُ
ويطيعُ...
وقد يسهران معاً في الصوامعِ
تحت القناديلِ
في غرف الأمهاتِ
وفي غرف النومِ
قد يقطعان الفراسخَ
مُنتعلين الهواءَ الخفيفَ
ويزحفُ خلفهما
دون أن تتعثّرَ رجلاهُ
بعضُ ضبابِ المدينةِ
بعض المنازلِ
بعضُ الطيور التي سقطت قبل يومين
بعض الندى
كان يمشي وراءهما الأوّلون:
عليٌّ
وإخوتُه
وبنوه وأحفادُهُ
والحسينُ المراهقُ
ثم الحسينُ الفتى
والحسين الرضيعُ...

ولكنها الطائرات
تحاول أن توقظ الميّتين
تدربهم
كيف ينتظرون المخلّصَ
كيف يحيطونه بالغيوم التي اغتسلت
في مياه الفراتِ
وبالظلمات
وكيف يحطُّ على كتفيهِ الحمامُ الوديعُ...
كأنَّ الذي لا يضيعُ يضيعُ...
الضّفافُ البعيدةُ
والبرمكيّون
والسادةُ الحنفيّةُ
بيتُ الشريف الرضىّ
سقيفةُ هارون
والزنجُ
والشيعة العلوية
نازك
طائفةُ الترك والكردِ والديلمِ
الصابئون
الموالي وعبدةُ والأصمعيُّ ورؤبة وابن نباتة
والمتوكّلُ والبحتريُّ
ونازك نازك
بعض بيوت القرى
ستطيرُ بأجنحةٍ من ترابٍ
وأغنيةُّ الجسرِ
أول أغنيةٍ سوفَ ننسى ملامحها
والمقاهي التي سوف تشبه قارب صيدٍ
وساريةُ المتنبي

وسارية الوقتِ
طيفُ الأمينِ الذي كان يخشى إذا هبط الليلُ
أن يهبط الموتُ
والبابليّون
والكلماتُ التي تفصلُ البابليّين عنّا
وطلعةُ آذار
والنسوةُ الخارجاتُ من السجنِ ذات صباحٍ
ونازك نازك نازك
سقف السماءِ الذي يستطيع الفرنجة
أن يسكنوه
وأن يهجروه
ولا نستطيعُ...
الهواءُ المبقّعُ بالكلماتِ القديمةِ
كان عساكرُ بغداد ينتظرون الخليفةَ
كان الخليفةُ
ينتظرُ السرطانَ على هيئة الدلوِ
ينتظرُ الدلو في الكاظميّةِ
يطردُ قوّادَه
ويهش الرعيةَ
يسألهم عن قصائدَ يائسةٍ
تتساقطُ منها الصبابةُ والجوعُ...
خلفهما تتساقط أودية
وصهاريجُ ماءٍ
وصحراءُ عطشانةٌ
ثم يهبطُ شيخٌ طويلٌ
يمد ذراعيه
يحضن هذى الخريطةَ
يحملُها ويرفرفُ

هذا أبو الفرج الأصفهانيُّ
ييأسُ قبل انصرافِ الظلامِ إلى قبورِهِ
ويحثُّ مريديهِ:
بغدادُ عاصمةُ الأرضِ
حبلُ الخلاصِ
ارجموها
ارجموا عاشقيها
اتركوهم على حافةِ النهرِ
سوف يجئ المحبّون من ردهاتِ التواريخِ
يغتسلون
ويحلمون فوق الرصاصِ
ارجموها
ارجموا عاشقيها
اتركوهم
شطوطُ النخيلِ تحَاصرهم والجذوعُ...
ولكنها آلة الموتِ تعمل
تكتب أول أسماء عشاقها:
أغنياتُ القصاصِ
القصاصُ
الطبيعة حين ينام على ساعديها الربيعُ...
ويصحوا الربيعُ...
ومازال سعدي يطل على ساحة البرجِ
في أول الليلِ كانت مصابيح دجلة
كان السواد العظيمِ
وبغدادُ عاصمةُ الأرض
والأخرياتُ الفروعُ...

عبد الوهاب البياتي

قراءة في كتاب الطواسين للحلاج

(١)

أصرخ في ليل القارات الست، أقرب وجهي من سور الصين، وفي نهر النيل أموت غريقاً، كل متون الأهرامات معي، ومراثي المعبودات، أموت وأطفو: منتظراً دقات الساعات الرملية في برج الليل المائل، أبني وطناً للشعر، أقرب وجهي من وجه البنّاء الأعظم، أسقط في فخ الكلمات المنصوبة، يُبنى حولي سورٌ، يعلو السور ويعلو: كتبٌ ووصايا تلتف حبالاً، أصرخ مذعوراً في أسفل قاعدة السور، لماذا يا أبتِّ أنفى في هذا الملكوت؟ لماذا تأكل لحمي قطط الليل الحجريِّ الضارب في هذا النصف المظلم من كوكبنا؟ ولماذا صمت البحر؟ الإنسان المفعم موتاً في هذا المنفى؟ هذا عصر شهود الزور، وهذا عصر مسلات ملوك البدو الخصيان. أقرب وجهي من وطن الشعر: أرى آلاف التعساء المنبوذين وراء الأسوار الحجرية. في منتصف الليل يغيب النجم القطبي وينبح كلبٌ قمرَ الموت. لماذا يا أبتِّ صمت الإنسان؟

(٢)

من تحت مسلات طغاة العالمْ
من تحت رماد الأزمان
من خلف القضبان
أصرخ في ليل القارات، أقدم حبي قربانْ
للوحش الرابض في كل الأبواب

(٣)

أجيال وقوافلْ
أمم وممالكْ
أهلكها الطوفان

(٤)

واحدة بعد الأخرى، ترتفع الأيدي في وجه الطغيان
لكن سيوف السلطان
تقطعها، واحدة بعد الأخرى، في كل مكانْ

(٥)

فلماذا، يا أبتِّ، لم ترفع يدك السمحاء؟

(٦)

ثورات الفقراءْ
يسرقها، في كل الأزمان، لصوص الثوراتْ

(٧)

"زاباتا" كان مثالاً ومئات الأسماء الأخرى
في قاموس القديسين الشهداءْ

(٨)

فلماذا، يا أبتِّ، صُلب الحلاج؟

(٩)

في أحواض الزهر وفي غابات طفولة حبي، كان الحلاج رفيقي في كل الأسفار، وكنا نقتسم الخبز ونكتب أشعاراً عن رؤيا الفقراء المنبوذين جياعاً في ملكوت البنّاء الأعظم؛ عن سر تمرد هذا الإنسان المحترق شوقاً للنور،

المحني الرأس إلى السلطان الجائر. كان الحلاج يعود مريضاً وينام سنيناً ويموت كثيراً ويهز القضبان الحجرية في كل سجون العالم. قال الحلاج: "وداعاً" فاختفت الأحواض. وداعاً! غابت طفولة حبي سيصير الماء دموعاً والموت رحيلاً في هذا المنفى. هذا عصر شهود الزور، وهذا عصر مسلات ملوك البدو الخصيان -الدول الكبرى- الجنرالات- الآلات. لماذا يا أبتِّ لم ترفع يدك السمحاء بوجه الشر القادم من كل الأبواب؟ لماذا تُنفى الكلمات؟ يصير الجب عذاباً؟ والصمت عذاباً؟ في هذا المنفى، وتصير الكلماتْ

طوق نجاةْ

للغرقى في هذا اليم المسكون بفوضى الأشياءْ؟

(١٠)

كل الفقراء اجتمعوا حول الحلاج وحول النارْ

في هذا الليل المسكون بحمى شيءٍ ما، قد يأتي أو لا يأتي من خلف الأسوار

عبد الوهاب المؤدب

على ضـــــفـــــتي دجلة

سجودات أربعة كي تغتسل من آثار
تعطّل الجسد بُعَيدَ حلم المساء
طائفاً مئة سنةٍ بين قصور
تنتصب أمام حدائق حيث البقرات
الموثقة ترعى الورود على طريق

آلاف من المدن أسوارها هى
من صهارة الماس واللآلئ حيث تتوارى
منازل ذات أروقة متعدّدة
وممرات وشرفات تطلُّ على باحات
حيث تنتشر الخيمات ظلالها على
المحفات والبسط مرحبة
بنسوة ينتظرن مسترخيات
قرب دنان شفافة ينتقيها
نبيذ بحمرة الياقوت ينشب سهام
الضوء، أهنا تبطل السأم
عندما تصحو تعود وضيعاً.
إلى الحياة إثر اجتياح ما وراء العامل الوسيط
جرفاً طافياً على تخوم
البحرين برزخا حيثما تحفرُ من
حمى حجاب ووراءه

يظهر العالم مزيناً بحكمته
يقول الصوت استيقظ لا تنم في
راحة يدي أخشى أن أسحقك
ليس إلا ارتكاسا تذكّر
لدى النوم تموت تستطيع ألاّ

ترجع تتدحرج على دروب العالم
الآخر لا تدع الهموم تغويك
هموم تتراكم عن كل لمعة لتكن لك
بصيرة تنير طريقك
كي تفك الخدعة لا تخدعنّك
الرؤى السعيدة أو السيئة
ارفع عاليا راية المشغوفين انزل
عن سرير الحمم لا تحاول إيجاد
معنى لبقايا تواجهك
وتتملكك. ارفع روحك إلى مرتبة
العرش ولا تنفض غباراً
يلتصق بخفيّك
ولتعلم أن مسرى الوهم يُوثِق
لياليك المشرعة على بياض يثقب
الكلمات أو يتناهى إلينا عبر الضحك
مفاقماً حداد جماعة تبكي
موتاها منزوين بروح كئيبة ولحى فضفاضة
كانس الطريق على خطى الرهبان
أجساد مستمرة على الأرض وقلوب معلّقة على
أسلاك سماء تنسج قماشة تتدلى
وراء عرش مبتلّ بندى فجر
يمنحه بريق معدن

باهرا الفقراء ذوي الأسمال
جماعة تقودها صور وافرة
سراباً إكراماً لأباريق ملويّة
طالما لمعت بالليمون والرمل
عن الجمع ينفصل رجل ذو سيف
يخلع قميصه ويضعها على رأسه
يفك حزامه مهملاً
بنطاله ومحوّما كما الأعمى على حافة
الهوّة تظهر آية وتجئ إليه
تخرجه من حيرته وتشيد بعريه
قبل أن تُلبسه من جديد تهيّئ له سريراً
بملاءات من حرير وناموسية طُعِّما للبرغشات
سيُمضي ليلة مضطربةً متقطعة

العينان مفتوحتان على ظلام بلا مشاعل
ولا قمر مسكونا بالرؤوس المقطوعة
لغيلان وتنانين تحويها الأصقاع
المتعة هى وضوح يفتُّ
صورا خفية كالضوضاء

بقسوة الصرخة فجأة في هذا المكان
السائب بين انقباض وانبساط
صدمة تلقي الهبة صوب غياب
تتبدّد فيه الكلمة على صراط
التخلّي يخترع كتاباً في حجم
عالم يحوي أقوال زمننا
مقاطع متعارضة وبصداها تتحرك الأرض
الأحرف تتبعثر إنها فقدت

العلاقة إنها تمالق خدعة الثعلب
وتلغي باختفائها الحسرة
كي تأتي منها إلى مملكة الصمت الأعقابُ
تتسمر في وقفة كهذه في حمى سنام
الجمل الرأس مكشوف متأملاً
معنى العصا المزروعة في الرماد
منتظراً أن يعبر طيف فرعون

(عن الفرنسية: ترجمة عبده وازن)

على الشلاه

بـــــــاب الـــــــردة

بستان البياتي
غارقاً بالسؤال على رُقية الخوف
يؤثث بالريح بستانه
ثم يحفر في كوّة الماء..
صوت العذارى
للارا..
لعائشة في الدخانِ
تخيط مدارا
تنام البلاد على نخلة الموتِ
كي لا يفيق السكارى
وعبد الوهاب وانواؤه والحيارى
.....
كيف...
دقوا على شمسهم وطناً أبيضا...؟
... نزعوا في النهايات أصواتهم
وَرَثَوهُ.. انتصارا
هاهنا كربلاء
سيمر الحسين إماماً لمرقده
وتظل الدماء
هاهنا .. كربلاء
غارقاً بالسؤال على رقية الخوف

يؤثث بالناس بستانه
والمزارا

شناشيل السياب
شاعر من قمقم الأخطاء..
.. قام
ساحباً سيزيف من صخرته
صاعداً.. تل اليباب
اخضر الجوع به.. ثم تماهى
فاصطفاه الارتياب
شبح مثل العباءات..
ازدحاماً أرملاً..
ظنه النهر جميلاً
.. كالحكايا..
وغريباً..
كتعاويدِ السراب
هجع النخل على سرته
فأزاح الماء عن أقدامه..
ومشى...
خلف دليل تائه...
.....
.. للموت جدوى..
ساحباً..
سيزيف من صخرته
صاعداً..
.. تل الغياب.

مرآة أدونيس

طاعناً بالوصايا..
وبحبل الفجيعة
فالبدايات سرباله..
حملت للقنوت مفاتنه
وأراقت ربيعه
سيّداً.. في التراب الذبيح
وسيماؤه.. لغة الطير.. والجن والدعوات
وأيادٍ قطيعة
يا علي ...
قل.. علي... يا علي
إن هذي المرايا
خطيئة من بايعونا
وهذي الدفوف...
مزامير سَجّادنا...
فابتهل...
ليتم الإمام رجوعه
يا .. علي ...
يا .. علي ...
يا .. علي ...

على جعفر العلاق

إخـــــــــــوة يـوسـف

عمقوا البئر، ونادوا الذئبَ
من أقصى النوايا المظلمةْ،
حاصروا كل دروبِ الريح: لا يدخلْ
إلى مكمنه المائيّ نجمٌ
أو إلى عزلته المزدحمة
حجر الضوء..

❖❖❖

تعبنا
لتكن آخر بئر هذه البئرُ،
تراب أم فوانيس من
اللوعة والياقوتِ؟
ليلُ البئر غربان من الفولاذ تنقضُّ
على يوسف: هل يوسفُ
طفل البئر أم حيرتنا
تعبنا من جمالٍ شرسٍ فيهِ
تعبنا من أغانيهِ
المدمّاة، ومن أيامهِ المحتدمةْ..

❖❖❖

توجوا أشجاره بالرعبِ والحمَّى،
وغنوا، دمنا ماءٌ، وغنوا: بابل
تغُتصبُ الآنَ،
وغنوا: أينا يفتك بالآخر؟
ضوء يغتلي في البئر: رُشوّا،
مطر اليتم على أطفاله الغافين، نادوا
وحشة الليل، وغربان النهايات،
ونادوا
ذئبنا الهائجَ في أرواحنا المضطرمة..
مظلمٌ يا شجرَ الأهل، نشيدٌ
قاتم ينهش لحم الريحِ، قابيلُ يغني
لطوابير من
الغربان..
هل تمتلئ الآبارُ بالوحشة أم
بالضوءِ؟
أقمارٌ مدماةٌ.
سماوات
من الأشلاءِ، من كان قتيلَ
البئر، يا يوسفُ:
فجرٌ همجيٌّ، ورياح مبهمة.
اينا شمَّ غبار الشجرِ المظلمِ يدنو
أيّنا شمَّ دمه؟

❖❖❖

ساطعٌ يوسفُ، كفّاه
نهار من دمِ الغزلان: يعلو
وهم القتلى: يغنّي

وهم الباكون، ينأى
وهم الغافون في الظلمة:
لا حلم سوى أنْ يعلفوا
بالتمرِ والحنّاءِ خيلَ
الغزوَ.
ماذا تحمل الريح إلى بابل؟
غربانٌ تغني، جثث تهذي
وخيل الظلمةْ.
كم تغنوا بصباه الشرسِ.
الفاتن، لكن
هل تمنوا موته الساطعَ يوماً؟
هل تمنوا حُلُمَهْ؟

علي عبد الأمير

بـلادٌ تـتـــــــــــــوارى

المطر على عجلات مذعورة
المطر بارد على جثث في العجلات
المطر على رايات العراقيين السود
المطر على حربهم
المطر في شرفاته
المطر على خنادق في التراب البعيد
المطر على خوذة جندي وهو يطلق النار
المطر في فمه وهو ميت
المطر على رأسي وأنا أدفن أحلامي
أنا الذي شاخت في قمصانه مواعيد النزهة
هل لي أن أمطر على ناصية نظيفة؟
شرفات عرضت على زجاج روحي فكرة الاحتفال
لكنه ظل مخلصاً لصدأ الحديد
أشجار الليمون في حديقة داري،
أقلعن عن القدّاح
وقلدن اللبلاب في النحول
أصدقاء كنت أودعهم
ويدي أضناها البكاء في التراب الذي واريت
المطر أخذ غيومه
وهطل خفياً
على جرس يرن في الطفولة.

هنا معطف مبلل
علامة لآخر شتاء عرفه عابر الحدود
جندي شرب مطراً في خوذته
واخترق بوثبة باسلة فخاخ الوحول
أيها المطر دعني أنشغل
بأمر الليالي
التي أطفأ الخوف قناديلها،
دعني لا وقت لي لكي تستدل بي
للبحث عن مواسم ضعن في سماء مثقوبة بالقذائف
دعني أسأل عن وطن لطفلي
دعني أقترح ظلاً لشرفتي
المطر في الحرب
فجوة من وحول سأقضي عمراً كاملاً بغية ردمها.
المطر على جثة جندي
الغبار يخفف حمرة الوردة
في جرح الجندي
آه من تجوالك الصاخب يا مطر الحرب
إلى أين مضيت بي،
بعيداً انشغل عني وهات مآثر
أكبر من الأسئلة
مآثر تنظيف المشهد
من بقايا فضاءات أسقطتها الشظايا
مأثرة العناية بذوي الورود الحمر
والمأثرة الخاصة بي
أن أجد ظلاً لشرفة
أمعنت في حديدها الصدئ
بعيداً عني يا حقائب
بعيداً عني يا عناق الغياب

بعيداً عني
أيها الليل المتكدس في العجلات
بعيداً عني
أيها الوقت الذي تعفن في جثث الجنود
وداعاً
كلاب الحروب
وداعاً لمطر في عجلات القتلى
دعني لمواسمي الآتية
ولمدينتي
وأمسياتي التي ذبلت
مطر على عجلات سريعة
مطر على جثث في العجلات
مطر في خوذة جندي
أوحال في شرفات البلاد

فاروق جويدة

من قال إن النفط أغلى من دمي؟

مادام يحكمنا الجنون
سنرى كلاب الصيد تلتهمُ
الأجنة في البطونْ
سنري حقول القمح ألغاماً
وضوء الصبح نارا في العيون
سنري الصغار علي المشانقِ
في صلاة الفجر جهرا يصلبونْ
ونرى على رأس الزمانِ
عويل خنزير قبيح الوجهِ
يقتحم المساجد والكنائس والحصونْ
وحين يحكمنا الجنونْ
لا زهرة بيضاء تشرقُ
فوق أشلاء الغصون
لا فرحة في عين طفل
نام في صدر حنون
لا دين، لا إيمان، لا حق
ولا عرض مصونْ
وتهون أقدار الشعوبِ
وكل شيء قد يهونْ
مادام يحكمنا الجنونْ

❖❖❖

أطفالُ بغداد الحزينة يسألونْ
عن أي ذنب يقتلونْ
يترنحون علي شظايا الجوع
يقتسمون خبز الموت.. ثم يودعونْ
شبح "الهنود الحمر" يظهرُ
في صقيع بلادنا
ويصيح فينا الطامعون
من كل صوب قادمون
من كل جنس يزحفون
تبدو شوارعنا بلون الدمِّ
والكهان في خمر الندامة غارقون
تبدو قلوب الناس أشباحا
ويغدو الحلم طيفا عاجزاً
بين المهانة.. والظنون
هذي كلابُ الصيدِ
فوق رؤوسنا تعوي
ونحن إلى المهالك مسرعون..

❖❖❖

أطفال بغداد الحزينة
في الشوارع يصرخون
جيش التتار
يدق أبواب المدينة كالوباءِ
ويزحف الطاعون
أحفاد هولاكو
علي جثث الصغار يزمجرون

جثث الهنود الحمر تطفو
فوق أعمدة الكنائس والثرى يغلي
صراخ الناس يقتحم السكونْ
أنهار دم فوق أجنحة الطيور الجارحاتِ
مخالب سوداء تنفذ في العيون
مازال دجلةُ يذكر الأيامَ..
والماضي البعيد يطل من خلف القرونْ
عبر الغزاة هنا كثيرا.. ثم راحوا
أين راح العابرون؟!
هذي مدينتنا.. وكم باغ أتى
ذهب الجميع ونحن فيها صامدونْ
سيموت هولاكو
ويعود أطفال العراق
أمام دجلة يرقصون
لسنا الهنود الحمر
حتى تنصبوا فينا المشانقْ
في كل شبر من ثرى بغدادَ
نهرٌ.. أو نخيلٌ.. أو حدائقْ
وإذا أردتمْ سوف نجعلها بنادقْ
سنحارب الطاغوت فوق الأرضِ
بين الماء.. في صمت الخنادق
إنا كرهنا الموت لكنْ
في سبيل الله نشعلها حرائقْ
ستظل في كل العصور وإن كرهتم
أمة الإسلام من خير الخلائق

❖❖❖

أطفال بغداد الحزينةِ
يرفعون الآن رايات الغضبْ
بغداد في أيدي الجبابرة الكبارِ
تضيع منا.. تغتصبْ
أين العروبةُ.. والسُيوفُ البيضُ
والخيل الضواري.. والمآثر.. والنسبْ؟
أين الشعوب وأين كهانُ العربْ؟
في معبد الطغيان يبتهل الجميع
ولا ترى غير العجب..
البعض منهم قد شجبْ
والبعض في خزي هربْ
وهناك من خلع الثيابَ
لكل جواد وهبْ..
في ساحة الشيطانِ
نقرأ سورة "الدولار"!
يسعى الناس أفواجاً
إلى مسرى الغنائم والذهبْ
والناس تسال عن بقايا أمةٍ تُدعى "العربْ"!
كانت تعيش من المحيط إلى الخليج
ولم يعد
في الكون شئٌ من مآثر أهلها
ولكلِّ مأساة سببْ
باعوا الخيولَ..
وقايضوا الفرسان في سوق الخطبْ
فليسقط التاريخُ.. ولتحيا الخطب
أطفال بغداد الحزينة يصرخونْ
يأتي إلينا الموت في لبن الصغار
يأتي إلينا الموت في اللعب الصغيرةِ

في الحدائق.. في الأغاني..
في المطاعم.. في الغبار
تتساقط الجدران فوق مواكب التاريخ
لا يبقي لنا منها.. جدارْ
عارٌ علي زمن الحضارة أيُّ عارْ
من خلف آلاف الحدود
يطلُّ صاروخ لقيط الوجهِ..
لم يعرف له أبدا مدار
ويصيحُ فينا:
أين أسلحةُ الدمارْ؟!
هل بعد موت الضحكةِ العذراءِ فينا
سوف يأتينا النهارْ
الطائرات تسدُّ عين الشمس
والأحلامُ في دمنا انتحارْ
فبأي حقّ تهدمونَ بيوتنا
وبأي قانون
تدمر ألف مئذنة.. وتنفثُ سيلَ نار
تمضي بنا الأيامُ في بغدادَ
من جوع.. إلى جوع
ومن ظمأ.. إلى ظمأ
ووجه الكون جوعٌ.. أو حِصَارْ
يا سّيدَ البيتَ الكبيرْ
يا لعنة الزمن الحقيرْ
في وجهك الكذاب
تخفي ألف وجه مستعارْ
نحن البداية في الرواية..
ثم يرتفُع الستارْ
هذي المهازل لن تكون نهاية المشوار

هل صار تجويع الشعوبِ
وسام عز وافتخارْ؟!
هل صار قُتل الناس في الصلوات
ملهاةَ الكبارْ؟-!-
هل صار قتل الأبرياءِ
شعار مجد.. وانتصارْ؟!
أم أن حق الناس في أيامكمْ
نهبٌ.. وذلٌ.. وانكسارْ
الموتُ يسكن كل شيء حولنا
ويطارد الأطفال من دارٍ.. لدارْ
مازلت تسألُ:
"أين أسلحةُ الدمارْ"

❖❖❖

أطفال بغداد الحزينة
في المدارس يلعبون
كرةٌ هنا.. كرةٌ هناك
طفلٌ هنا.. طفلٌ هناك
قلم هنا.. قلم هناك
لغمٌ هنا... موتٌ.. هلاكْ
بين الشظايا
زهرة الصبار تبكي
والصغارُ علي الملاعبِ يسقطون
بالأمس كانوا
كالحمائمِ في الفضاء يحلقونْ

❖❖❖

في الكوفة الغَّراء
عطر من عبير المصطفي
فجرٌ أضاء الكون يوماً
لا استكانَ ولا غفا
يا آل بيت محمد..
كم حن قلبي للحسين..-وكم هفا
غابت شموس الحق والعدلُ اختفي
مهما وَفَى الشرفاءُ في أيامنا
زمنُ الندالة.. ما وَفَي
مهما صفي العقلاءُ في أوطاننا
بئرُ الخيانة ما صَفَي..
بغداد يا بلدَ الرشيد
يا قلعة التاريخ والزمنِ المجيدْ
بين ارتحال الليل
والصبح المجنح لحظتانْ
موتٌ.. وعيدٌ
ما بين أشلاء الشهيدْ
يهتز عرش الكون في صوت الوليدْ
ما بين ليل قد رحلْ
ينساب صبحٌ بالأملْ
لا تجزعي بلد الرشيدِ
لكلِّ طاغيةٍ.. أجلْ

❖❖❖

طفلٌ صغيرٌ..
ذاب عشقاً في العراقْ

كراسةٌ بيضاء يحضنها
وبعض الفلِّ.. بعض الشعر والأوراق
حصالةٌ فيها قروشٌ
من بقايا العيد.. دمعٌ جامدٌ
يخفيه في الأحداق
عن صورة الأب الذي
قد غاب يوما.. لم يعد
وانساب مثل الضوء في الأعماق
يتعانق الطفلُ الصغيرُ مع التراب
يطولُ بينهما العناقْ
خيطٌ من الدم الغزير
يسيلُ من فمه
يذوبُ الصوتُ في دمه المُراقْ
تخبو الملامحُ.. كلُّ شئٍ في الوجودِ
يصيح في ألم: فراق
والطفل يهمس في أسى:
أشتاق يا بغدادُ تمركِ في فمي
من قال إن النفط أغلي مِنْ دمي؟!
بغدادُ لا تتألمي
مهما تعالت صيحة البهتان
في الزمن العمي
فهناك في الأفق البعيد صهيلُ فجرٍ قادمِ
في الأفق يبدو سِرْبُ أحلامِ
يعانق أنجُمي
مهما تواري الحلمُ عن عينيكِ
قومي.. واحلمي
ولتنثري في ماء دجلة أعْظُمي
فالصبحُ سوف يطلُّ يوماً

في مواكب مأتمي
الله أكبر من جنون الموت
والزمن البغيض الظالمِ
بغداد لا تستسلمي
بغداد لا تستسلمي
من قال إن النفط أغلي من دمي؟!

فاروق شوشة

مـــــــوال بـغـــــــدادي

ياليل، ياعين، يا أحلام، يا قمرُ
يا حب، ياوجد، يا أشواق، يا سهرُ
شط المزار، وكل الصحب قد هجروا
فأظلم الكون لا أنس، ولاسمر
ولا ظلال، ولا ري، ولا مطرُ هات اسقني مهل دجلة
في نهلة بعد نهلة
لعل ماء المذلة
يصير يوما تعلة
لكل من رحلوا كالطيف، أو عبروا
لم ندر هل صدقوا في العهد أم غدروا!

❖❖❖

يا ليل بغداد، هل بغداد بغدادُ!
وهل لموالها شدو وإنشادُ؟
وهل لأطيارها في الأفق ميعادُ؟
وهل ستهجع أرواح وأجسادُ؟
آهاتها كل يوم فيك تزدادُ!
عيناك من سحر بابل
أم من أزيز القنابل
تفجران الزلازل
في طغمة لم تقاتل

ميراث أيامهم سحل وأصفادُ
لكنه في سجل القهر أمجادُ!

❖❖❖

قلبي مع الباحثين الآن عن طللِ
وعن رصيف، وعن مقهى وعن أملِ
وعن مفاتيح جرح غير مندملِ
وعن بقايا صبا ولَّى على عجلِ
وطارق دق أبوابا بلا مللِ
هل ثم دار ومأوى؟
أم جب حلم ومهوى!
وهالك دون مثوى
محوه بالأمس محوا
فهل يفيق، وهل ينجو من الخبلِ؟
أم أن مقدوره إغفاءة الأجلِ!

❖❖❖

هل أنت باق هنا يا ليل أم عابر؟!
وهل وعيت الذي يبكي له الشاعر؟!
وهل مددت يدا للبائس العاثر؟
وهل هبطت على ركن بلا زائر؟
لم يبق منه سوى تذكاره الغابر!
ليل وليل وليلُ
وثم صمت وويلُ
وثم سرج وخيلُ
وفارس وهو ذيلُ!
هل أنت يا ليلنا، ليل بلا آخر؟

أم أنت جرح بعيد المنتأى غائر!

❖❖❖

ياليل، ياعين، يا أيام، يا أبدُ
ويا سرابا خؤونا كله بددُ
هبك انقشعت، فهل جربت ما نجدُ
ونحن فجر حسير كله كمدُ
ولم يعد في مآقي دمعنا مدد!
كانت، وكانوا، وكنا
قلبا غفى واطمأنا
يظن للعيش معنى
ولا يرى الكون سجنا
هيا تلفت، فما في دارهم أحدُ!
لا الناس ناس، ولا بلدانهم بلدُ!

❖❖❖

من أنت يا شاخصا في البعد تنتظر
لعل ضوءا من الآفاق ينهمر
أو ظلمة من دياجي القهر تنحسر
لا تنتظر أحدا... فالقلب منكسر
والسر يطوى بعيدا، ثم يستتر!
إني أنادي، أنادي
من قاع ليل الحدادِ
أصيح: أين بلادي؟
وأين مائي وزادي؟
هل أنت من توّجوك اليوم، وانتشروا!
للسلب والنهب، والتاريخ يندثرُ

❖❖❖

يا ليل بغداد هل تدري بكل خفي!
وهل ترى ما أري في كل منعطفِ؟
وهل تحس بشيء فيك مختلفِ!
ونحن نمعن في الخذلان والتلفِ
وما يدير رؤوس الناس من خرفِ!
يوما ستروي، وتحكي
عن كل طيشٍ وإفكِ
وكل نهب وفتكِ
إنا ليومك نبكي
وا ضيعة العمر بين القهر، والصلفِ!
وسالف قادنا رغماً إلي الخلفِ!

❖❖❖

أنت العراق، وأنت الحزن والألمُ
وهادر من عصى الموج يلتطمُ
إذا تشابكت الأنوار والظلمُ
وعربدت في البوادي فتنةٌ عممُ
وظن كل قبيل أنه العلمُ
دوسي علي الشوك، وامضي
بركان جمر وومضِ
وباركي كل أرضِ
تصون أشلاء عرضِ
القوم صنفان: مأجور ومتهمُ
وأنت تبنين ـ رغم اليأس ـ ما هدموا!
أنت العراق، فهل تدرين ما أنتِ ؟

❖❖❖

يا نخلة سمقت في عالم النبتِ
وظللت كل حي، حيثما كنتِ
أمومة من رحيق الطل والوقتِ
وكبرياء شموخ رائع السمتِ
هززتها فاستطالت
وبالرياحين مالت
وحين طابت، وسالت
صالت طويلا، وجالت
كالسيف، يقطع رأس القهر والمقت؟
ومستحيلا يرد الموت، بالموت!

❖❖❖

يا ليل، يا عين، يا أطياف، يا محنُ
يا كل جرح جديد، ساقه الزمنُ
يا كل صدع، وتحت الصدع نندفن
يا كل عزم تولى كبره الوهنُ
يا كل موت سيأتي، ماله ثمنُ!
أما كفي! ذاك يكفي!
من ليل خوف لخوفِ
ما بين حتف وحتفِ
وموسم للتشفي!
غد سيأتي، ويمضي، وهو مرتهنُ
ونحن ننعي رمادا ... واسمه الوطنُ!

فاطمة ناعوت

نـــصـــفـنـــوتـــة

رتَّبا المساءَ إذن
على النحو الذي
يليقُ بشاعريْن

يمكنُ لشاعرٍ
أن يشقَّ البحرَ بخنصرِه،
يروِّض المعاركَ،
يلهو بقطعِ الكونِ فوق طاولته،
ثم يُخرجَ من جيبِ سترته
حفنةَ شُهُب،
ينظمُها عُقداً لامرأتِه،
وحدَه الشاعرُ
من أقنع التاريخ
بالتنحّي.

رتِّبا المساءْ
بعدما أغلقا النافذةَ
على الصواريخ ذات الرؤوس،
وأقدامِ المارينز صوب دجلةَ،
أغمضا عن عيون الثكلاواتِ
لأن الخنساءَ.

لم تقرأ "قصيدة النثر"
وآذار
وقتُ الحياة.
قال: لنا جبهةٌ أخرى:
ساحة الورق
وطلقات المدادْ،
ثم إننا نشجبُ القراراتِ
ونندُد بخرق معاهدةِ جنيف
عدا فائدتنا
في الشعور المبكِّر بالخطر
حسب قولة "عبد الصبور"
حين قارن بين الفئران
وبيننا.
ثم قرأ قصيدته.
قالت:
لأني أمتلك حدسَ الشعراءِ
فإن معركةَ التحرير النظيفةَ
ستغدو احتلالاً
بعد واحد وعشرين يوماً
وبما أن عشرات الدواوين ستُكتبُ
أبادرهم قائلةً:
"إلى بغداد طريقٌ واحدٌ
يمرُّ من فوهة
قلمٍ!"
أنهيا القصيدتين

افترشا أرضَ الردهةِ
ببساطِ كرداسةَ،

غلّفا الحيطانَ بالأفرخ الزرقاء،
وإصدارات العام الجديد،
أحكما عوازلَ الصوتِ
وأعدّا المقاعدَ للأوركسترا.

بائعُ القناديلِ وفيروز
تورطا في الأمر سريعاً
فتحدثَ النَّفّريُّ
عن اتساعِ الرؤيةِ وضيق التنفسِ
بينما استسلمَ ناجي للرَمَلِ
وقسوةِ الحبيبة وحزبِ البعثْ
واعتذرَ "أبو نواس" عن المجئ.
يتكلمون عن الاثنين وثلاثين إنذاراً
وقرار نزع السلاح،
والبنتِ
-ذات التي شيرت الأحمر-
التي دهستها الشاحنةُ قبل يومين
أمام مجلسِ الأمنْ.
يتكلمون،
عن المرأةِ التي التقطت حبيبَها
من جوار السفارةِ البريطانية،
ليبتكرا مساءً
يخصُّ الشعراءَ وحدهم.

مساءً
أجادَ صنعَه المدعوون
المقاعدُ الخاليةُ والأبنوديُّ
بياعُ القناديل وسجّادُ كرداسةَ

والألمْ.

وحدَه "نصير شمّة"
من أفسد الخُطَّة
إذ اعترض على اختيارِ هذا المساءِ تحديداً
فحذفَ نصفَ النوتةِ،
ردّاً
على قصفِ بغدادْ.

فريد أبو سعدة

غـــــــرغـــــــرينـا

وقف على رئتيّ وأرسل للعادل
: صرنا في مصر
لماذا تأخر انفجارك
وأنا أتقوّس وأنتظر

دخانٌ يتطوّحُ كالمسوس
وعالمٌ
يتشققُ كآنية من الفخار
غبارٌ ينقشعُ عن رأس نبيّ
وعبيدٌ يموهون على الغالبِ
: نحن هُوَ

دمٌ يسيلُ على الرخام
وصرخةٌ
تتناسلُ تحت قبّة البرلمان

وحيدٌ في قناع الصقر
أجلسُ فوق هاويتي
وأنتظرُ البلادْ
رأيتها تعدو عليّ
كما يفرّ قطيع غزلانٍ

أمام الطلقةِ الأولى

رأيتك
: سكّ َهاويتي
لا تختبئ خلف الرخام
وتتلصص علىّ
أريد أن أرى عينيك
وأنت تمدّ شفرتك
وتغرسها .
ستٌ وأربعون سماء
وقمرٌ ضائعٌ بين مقامات
كان يحكّ الصدأ فانكشفت
سماءٌ ثامنةٌ
تأخذه إلى غوايات
تطلع به السلالم
وتمضي به من الَّصبا
إلى الحجاز كار

في (تل الوقعة)
كشفتْ وانكشفتْ
قلتُ:
المرأةُ
أكثر من طرقة معشَّبة
والعصافيرُ
أكثر من صدأ سحاب
يتكوم في الغرفة
قالت:
هل يكفي قطيعٌ كاملٌ

من ال (تي. إن. تي)
لطردك من ذاكرتي!

غبارٌ طالعٌ منّي
سمواتٌ من القصدير
تطفو في دمٍ غضٍ
أفكّرُ
هل يكون الشرقُ وهما؟!

لا تضع منّي
لا تدخل متاهة السّكّر دون دليل
أيقظتُ الصيدلانية في الثامنة
ورحتُ أعدو
مثل كلب خائف
قلتُ لك: بغداد مقرّحةٌ كالجرح
لكن شيئا لا يقلعها من الأرض
كيف أمنحك الدليلَ
وأنت توغل
كيف وأنا أتقلب على صدرك
مثل شهقة.

كمْ ترى يكفي لقلع مدينةٍ
من أعين الموتى
وكم يكفي
لتمرقَ في هواءٍ حامضٍ
نتفاً من الخزف الملونِ
أو تعلّق في سماء اللهِ
ثدياً نازفاً

لبناً ودمٌ.

لا شئ يعادل صوتكِ
مخلوطاً بالنوم
ولا ضحكتك
بغير قطيع الماعز يهبط من فوق التل
على البيانو
كنت بين مريم وأنّا
ملت لأدخل في الصورة
ممتلئاً
بعشاء فوق العشب
فقلتِ: أنا عاريةٌ تحت الفرشاة
انظرني بعيون ماتيس.

أنا وحيدٌ
مثلُ هذا الصقر
أجلسُ فوق ذاكرتي
وأنتظرُ البلادْ
رأيتها تأتي
قطيعاً في مهبِّ النفطِ
يأكله الجذامْ

الداهيةُ
كوّر الأرضَ على رمحهِ
كغزل البنات
ثم قعد يتفرّجُ على صراع الديكة
حتى ملّ
نفض لحيته من الرمل

وأمر فقرءوا الفنجان
: إلهٌ يأتي من الصحراء
في رأسه شريحة من السليكون
وخرجه ملئ
بطيور الأباتشي
أتقوّسُ مثل و وأنتظر
متى يجئ العصف
أنتظرُ انفجاراً
ينظّف الجسدَ من الوعود
والروحَ
من الغرغرينا

محمد آدم

ضـــــــد الحـــــــرب

(١)
القنابل التي سقطت فوق نينوي
تذكر الإنسان
أن الآلة الجهنمية العسكرية الأمريكية
ما هي إلا قطران بخار
فوق درج الروح
لترفع عنها صدأ النسيان
ولتؤكد مرة أخرى أن الحياة أقوى من الموت
وأن اليد التي تطلق القذيفة
ستقف حتماً
مشلولة أمام قوة السلام

(٢)
السيد بوش
السيد بلير
تستطيع أن تدمر ألف شجرة
وتستطيع أن تهدم ألف بيت
تستطيع -كذلك- أن تطفئ كل مصابيح الأرض
تستطيع أن تقتل ألف طفل بضغطة واحدة
على زرك الأليكتروني
وتستطيع أيضاً

أن تجعل العشب يحتضر
والروح تعوي مثل ذئبة
تستطيع أن تجفف ألف بئر
وتستطيع أن توقف عجلة الحياة
تستطيع أن تصب جام غضبك على البشرية كلها
وتستطيع -كذلك- أن تصل إلى مركز الأرض
ولكن الشيء المؤكد
أنك لن تستطيع أن توقف عجلة التاريخ
التي سوف تكنسك

(٣)
لأنك لن توقف الحرب
لأنك لا تستطيع أن تقود الأباتشي
لأنك تقف مكتوف اليدين ترقب سقوط الإنسان
وتتابع المهزلة البشرية في أضخم تظاهرة للقتل
والفتك
تحت شعار الحرية تارة
والديمقراطية تارة أخرى
لأنك لا تملك كل وسائل الإعلام
لتقول
إن هذه الحرب
وصمة عار في جبين الإنسانية كلها
وإن هذه الحرب ليست عادلة بأي شكل من الأشكال
سوى أنها نهب منظم وسرقة علنية لوطن
تحت مرآى ومسمع من كافة القوى المحبة
للسلام
إن هذه الحرب استعراض علني للقوة بدلاً من محاربة
الفقر واليأس الكاملين

إن هذه الحرب ضد الأمل الإنساني في السلام
ولأنك لا تملك إلا أن تنظر إلى السماء التي تصب النار
عبر الأقمار الاصطناعية
وصواريخ التوماهوك وكروز
وكل وسائل القتل الشيطانية
لأنك لا تملك رفع الحصار عن الشعب الأعزل
لأنك لا تملك أن تقدم حليباً للأطفال أو تضمد الجرحى
لأنك لن تستطيع أن تقوم بدفن القتلى
خلف خطوط المواجهة كي يرقدوا بسلام
بعيداً عن القصف المدفعي
والصاروخي
لأنك تدرك أن الحضارة الغربية
ما هي إلا لعب إليكترونية للقتل والتخريب
والتدمير
ولأنك -أخيراً- تدرك أن السيد بوش
ليس المسيح ولا يوحنا المعمدان
وإنما هو يهوذا الأسخريوطي
فما عليك إلا أن تبصق على البشرية.

محمد الحارثي

تقاطعات بعد الحرب بقليل

(١)
سنجد متسعاً من الوقت
لنصّير الدموع ابتسامات
في كتاب النهر
البكاءُ المُرّ
سنستعمله فيما بعد
لترميم قربِ الأوكسجين

(٢)
الحليب الأسود في علب النيدو
وقذائف الديجيتال
ستساقطُ واحدة إثر أخرى
غافلة عن نصيحة
شيخ الهنود الحُمر
المقُطّرة برهافة شاعر
في الأذنين الكبيرتين
للرئيس -النيانتردال.

(٣)
سيسقط الطيارون بمظلاتهم
في الأحراش..

سيأكلون آخر هامبرغر
في جيوبهم المنفوخة
كجيوب الكَنغر،
بعد أن يقرأوا تاريخ بلاد
ما بين النهرين
بكَسل في البداية..
ثم بجدية تلميذ في الثانوية.

(٤)
سيتظاهرون ضد الحرب
في واشنطن، لندن، وسيدنّي.
لكن من سيُصغي إليهم
في الغابة؟..
حتى الطبول في طريقها
إلى الانقراض.

(٥)
لن يُطلق إيان فليمنغ
رصاصة الرحمة
على فيلم جيمس بوند الأخير
فالحرب بعد ٤٨ ساعة رقمية
حتى آخر صَفر يُدرّب
دشداشته علّى العُري..
في براري الفصحى..
(من قال إن الصِّفرَ اختراعٌ عربي؟)

(٦)
سنكتفي إذن، بكاف التشبيه.

فالحرب بلاغة أنيقة
بعطَر فهرنهايت فوّاح
منَ الصهاريج:
Eau de Toilete
Made in Iraq.44

(٧)
هولاكو بشحمه ولحمه
في بغداد
يؤلف كُتيباً صغيراً عن خصال
الأحصنة الراكضة في المُدرّعات
بعد أن أحرق مرَةً أخرى
مكتبة الخليفة
بضمير النائم في مركب نوحَ.

(٨)
إثر ليلة قضاها في البصرة
مكفكفاً دموعَ تمثال السياب (المُخرَّم
برصاص حرب الخليج الأولى)-
لن يعود المتنبي في قطار الجُند
إلى تمثاله الوقور في بغداد
مُدندناً في الدرجة الثالثة:
أصيحُ بالخليج:
يا واهب اللؤلؤ والمحار والردّى
فيرجع الصدّى ى ى ى ى...
كأنه النشيج:
يا خليج...
يا واهب المحار والردّى

لن يعود في قطار الجند
إلى قيلولة تمثاله،
كما لن يتنفس سعدي يوسف
هواء البصرة بعد ثلاثين عاماً
في حصيرة المنفى...
جنودهُ، جنُودهُ أيضاً
مسلّحون حتى الأسنان.

(٩)
هذه الحربُ ليست إلاّ:
ما عرفتم....؟"..
ولا فرق ساعتئذ،
لا فرق
بين تكساس وتكريت..
فالسخط هو السخط
والنفط هو النفط
والكبريت هو الكبريت.

(١٠)
محمد مهدي الجواهري
بدر شاكر السياب
عبد الوهاب البياتي
بلُند الحيدري
شريف الربيعي
ماتوا في المنفى..
ونازك الملائكة
(بين حرب وأخرى)
تنتظر الملاك

الذي لا يأتي..

(١١)
في الصوّر المتلفزة عبر الهاتف
كم تبدو قريبة إلى الرسوم المتحركة
صور الدبابات في طريقها إلى البصرة..
كم تبدو بغدادُ في الـ سي. إن. إن.
صعبة المنال كاللؤلؤة
بين نجوم الصَحراء.

(١٢)
سيكتبُ نصَيّف الناصري (الجنديّ السابق
في الحرب الأولى) المزيد من القصائد
على صفحات جواز سفره السوّيدي،
وستمنحه دائرة الهجرة والجوازات في
مدينة مالمو المزيدَ من جوازات السفر
(باستثناء من طبيبه النفسي السابع)
ليكتب تحت تمثال الملك
كارل غوستاف الثاني عشر
المزيد من القصائد
عن حُبه الزائف لـ Malm

(١٣)
قال بشر الحافي البغدادي
رحمَهُ الله: يأتي على الناس
زمَان تكون فيه الدولة للحمقىّ.
.. وفي سان فرانسيسكو
سيقول الأحمق سركون بولص:

"أيها الجلاد
عُد إلى قريتك الصغيرة
لقد طردناك اليوم،
وألغينا هذه الوظيفة".

(١٤)
سيتقاذف الأطفالُ الأسماءَ
في السماء
كُرةَ قدمٍ غير مَخِيطَة
بالتاء المربوطة
سيتمخطون بعفويتهم
حالمين، وبعد أن تُطفأ
في أعينهم فكرة التلفزيون:
"كورفيت" مُسرعة
دون رخصة قيادة
وكُرة بيسبول منفوخة
بالأوكسجين النقي ٩٩٪ (يضمن الصانع خلوّهُ
من اليورانيوم المنضّب)...
سيتقاذفون الأسماء
دون ألقابها
وسيستمرون في أحلامهم
هناك، بين قذيفة وأخرى:
طباشير ملونة.
مدرسة من الطين.
ونشيداً مدرسياً
لن يخلو من إكليل
يدعوهم في أساطير الخلق
إلى وليمة من المَنّ والسلوى.

(١٥)
بعد أن اصطاد ببندقية صيد
حوّامة "أباتشي" قال الفلاحّ
للطيار الأمريكي:
سرقتم حتى الاسم بعد أن أبَدتم
مُحاربي الأباتشي في أرضهم..
ماذا ستُسموُّن أرض الرّافدين؟

(١٦)
مُنتبذاً مَخبأهُ السرّي
يصرخُ بي القناص
لا تطلق الرصاص
مُعترفاً بذنبه..
مُقبّلاً يدي
لست سوى جنديّ:
دُرِّبَ في تكساس..
لكنني كالناسْ.
لي زوجة تُحبُني
وولدٌ شقيّ.

(١٧)
كثيرون سيذكّرون الحربَ
بأحصنتها النبيلة،
لكنها ستشربُ الدّمَ بعيداً عن المعركة
بعيداً في قاذفة تزلزلُ
السموات السبع والأراضين
أو على حاملة طائرات في بطنها
سبع سموات وخمسة آلاف جندي

يشاهدون بعد العشاء حصاناً قديماً
في فيلم كاوبوي
أسقط فارسَهُ بين الأحراش.

(١٨)
أخيراً
سيصافحُ الماضي
صديقهُ الجديدَ: المستقبل.
لكنه قبل أن يعود إلى ماضيه
سيَهمسُ في أذنيه الصغيرتين:
ألم أكن مُحقاً في الماضي؟

محمد الفيتوري

صـــــرخـــــة الميـــــلاد

دعونا نعلّقْ على مشجب الشمس
أكفاننا..
ونهزُّ بيارقنا..
أو دعونا نصلي..
فقد تُخْصب الصلواتُ التي يبِستْ في حناجرنا
ثم سالتْ نُعوشا عراقيةً
ومدائنَ مكسوةً بالحرائقِ، مزدانةَ
بالدماءْ..

❖❖❖

دعونا نُغَنّي لمن يستحق الغناءْ
ونبكي لمن يستحِقُّ البكاءْ
ومن تتناغم أطيافُنا في رؤاهْ
ومن هو نافورةُ الضوءِ تحت السماءْ..

❖❖❖

دعونا نَدُسْ في خُطى الهاربين إلى اليأس
أقنعةَ اليأس والانكفاءْ..
دعونا نَقُلْ للملوك الخطاة الزناهْ

وللحاكمين الذين أباحوا لأنفُسهم
حرماتِ الإلهْ
أقيموا جثامينكم فوق تلك العروشْ
وغطوا خَرائبَ تاريخكم بالنقوشْ
وصفّوا على الشرفات أكاليلكمْ..
واعلموا أيها الأقوياء
أنكم مثلُ قطرةِ غيمِ
معلَقةٍ في سقوف الشتاءْ..

❖❖❖

وحدَّقْتُ في أفق الليل
وحدي
أستَبقُ اليومَ والغدَ
والذكرياتْ
وأقتطفُ الحلم في غابة
العصر قبل الفواتْ
وأستصرخُ الراحلينْ
وأستمهلُ القادمينْ
وأستنطقُ الصمتَ
والصخر والظلماتْ..
لماذا يخونُ الذي خان
أمته؟
ويهُوِّنُ من هان يوماً
على نفسه
أرضَ أجداده..
ولماذا النبيُّونَ.
والشهداءْ

المُقيمُونَ في الخلدِ..
والشعراء المضيئون في الكلماتْ..
ولماذا القرابين والتضحياتْ؟!
ولماذا إذن تلد الأمهات؟..
ألكي تتلهى الشعوب بمن قد ولدنْ؟
وتصنع منهم عبيداً وآلهة وطغاة!
أم يلدن..
لكي يتألّقَ وجهُ العراق..
وتسطعَ روح العروبة في الكائناتْ!..

محمد سليمان

العـــــــــــــراقـــي

قاومت مثل أسد
قاومت كالأشجار والأنهار
واستحضرت صورة جدك
المنصور
وهو يجسد الرؤيا
ويُرسي الحد
قاومت في البصرة
قاومت في الأحراش
والصحرا
وأم القصر
قاومت في بغداد قصفاً
حاقداً أعمى
وعند النهر
قاومت حين تدافع الخاوون
كالفئران منتحرين
خلف السد

❖❖❖

أنت الكرامة يا فتى
فاصمد وصد